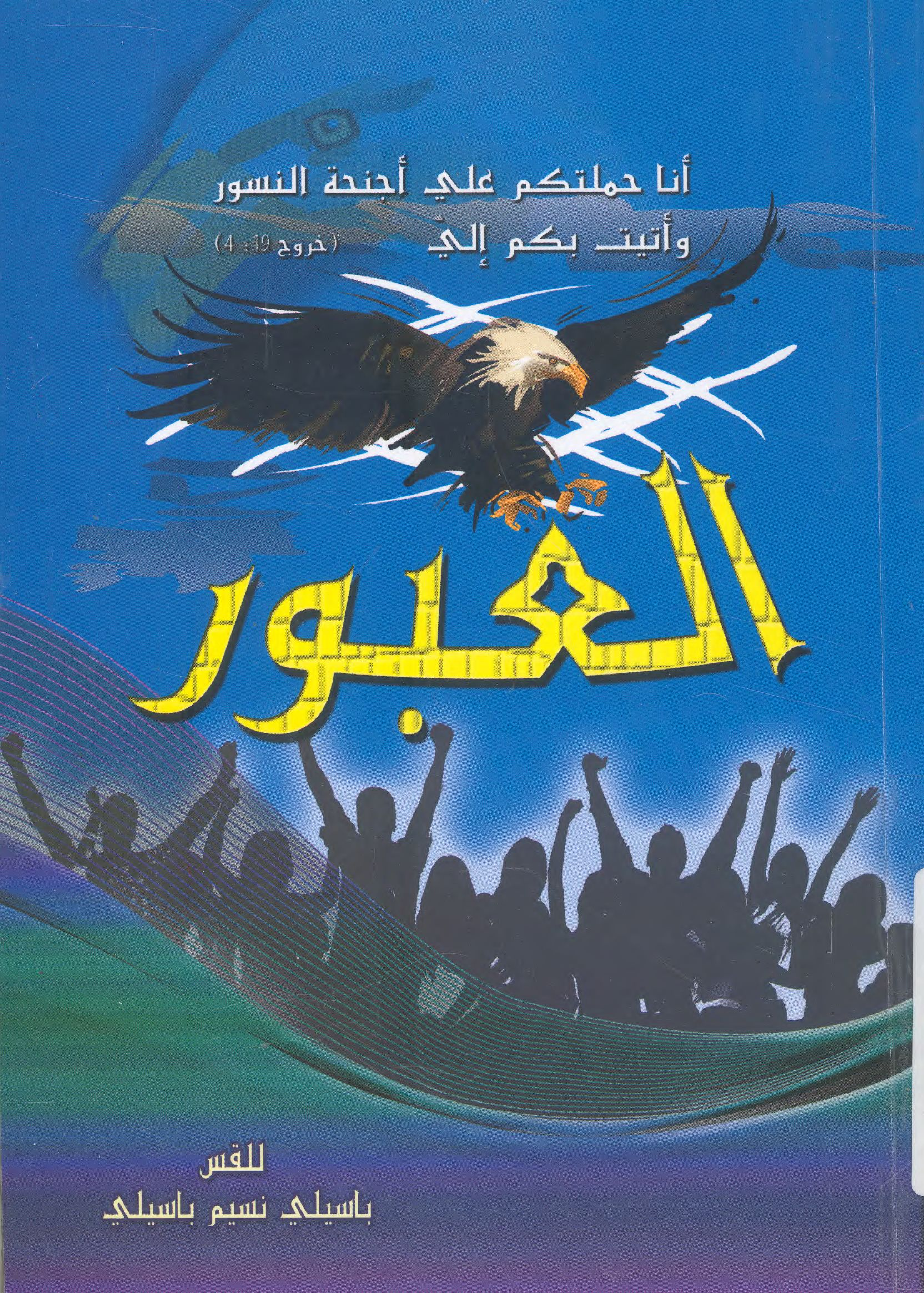

أنا حملتكم علي أجنحة النسور
وأتيت بكم إليّ (خروج 19: 4)
العبور
للقس
باسيلي نسيم باسيلي

"أنا حملتكم على أجنحة النسور
وأتيت بكم إليّ" (خروج١٩: ٤)

العبور

قم اعبر هذا الأردن ..

المؤلف
القس باسيلى نسيم

اسم الكتـــاب : العبور

اسم المـؤلف : القس باسيلى نسيم

المــطــبـــعــة : شركة الطباعة المصرية ت: ٤٦١٠٠٥٨٩

رقـم الإيـــــداع : ٢٠٠٩/١٤٤٤٧

يطلـــب من : القس باسيلى نسيم ٠٣/٣٦٠٩٢٣٣

٠٣/٥٢٨١٠٩١

٠١٢٤٥٨٥١٦٢

bassily@hotmail.com

الكنيسة الرسولية الثانية

٣٥ شارع راغب باشا - اسكندرية

كنيسة المسيح - سيدى بشر قبلى

خلف ٩٣ شارع مسجد التائبين سيدى بشر قبلى اسكندرية

مقدمة

تحدث «دان كروفورد» أنه إذ عاد لعمله التبشيرى بعــد عطلته وكان يجب أن يُسرع في العودة بقدر ما يستطيع؛ لكنه وجد نهرا عميقا كان لابد وأن يجتازه وهو في فيضانه الكامل..!! ولذلك لم يكن ممكنا لأي قارب أن يعبره؛ فحط رحاله هو ورفاقه وبدأوا يصلون..!!

فماذا لو كان قد رآهم غير مؤمنٍ وقتئذ؛ ربما يكـون قـد ضحـك عليهم بملء شدقيه!! قائلا كيف يُمَكِنهم الله من أن يعبروا هذا النهر الصاخب الممتلئ..!!

ولكن – وكالعادة – حدثت استجابة مذهلة لهذه الصلوات الحارة فلقد بدأت تترنح شجرة ضخمة عالية وتسقط!! بعد أن كانت قاومت ذلك النهر عشرات السنين وكانت نتيجة هذا السقوط أنها إعترضت النهر!!

عندئذ فاضت الكلمات علي شفتي – كروفورد – معلنا ببلاغة الاختبار **«أن مهندسي السماء الملكيين وضعوا قنطرة عائمة ليعبر عليها خدام الله»..!!**

نعم.. فما أعجب طرق الله وأساليبه؛ فجـل جلاله لا يُفاجأ بالأحداث؛ وإنما خططه وتدبيراته تسبق المواقف.. وتفوق العقل بما تُحدثه من إنجازات تُعَطِر صفحات التاريخ علي مستوي الأفراد والشعوب والأمم..!!

ففي مثل هذه المواجهات قد تتفتـق القرائـح الإنســانية ببعـض الإفتراضات التي يرون فيها ومن خلالـها الإنقــاذ المــأمول.. والعبـور المنشود.. والتي تتماشى مع المنطق المتـاح.. والعــرف المــألوف.! فوسائل

عبور البحار والأنهار المعتادة هي إما عن طريق ركوب السفن أو الغواصات.. أو السير علي الكباري والجسور.. أو السباحة في مياهها.. أو الطيران فوقها!!

أما التفاعلات الإلهية مع مثل هذه الموانع الطبيعية العملاقة فهي تشق البحر كما حدث مع موسى والشعب المحرر؛ أو تفلق النهر أمام يشوع والجيل الجديد ليتملك أرض المواعيد حين «**حول البحر إلي يبس وفي النهر عبروا بالرجل (مزمور ٦٦: ٦) والبحر رآه فهرب الأردن رجع إلي الخلف**» (مزمور ١١٤: ٣)

أو تسَخِر الحوت ليُقِل يونان إلي شواطئ نينوي ليتمم الخدمة التي كلف بها وتقاعس عنها..!! أو بواسطة ممارسة رياضة جديدة ليست الغطس تحت المياه وإنما السير فوقها مثلما حدث مع بطرس المِقدام الغارق الصارخ طلبا للنجاة؛ لترفعه اليد القديرة مُسيِّرة إياه من جديد رغما عن الأمواج الهائجة والرياح العاتية حتى أوصلته إلي السفينة وسط ذهوله الشخصي وجميع التلاميذ علي حد سواء..!!

إن العبور خطة إلهية مباركة سُطِرت بأحرف من مجد علي صفحات الوحي المقدس؛ وحري بنا لا فقط أن نطالعها بتعجب واندهاش؛ بل وأن نحياها أيضا بتطلع وإتساع بينما تمسك بأيدينا اليد السماوية لتقودنا إلي الكعبين ثم الركبتين فالحقوين مترقبين لحظات الروعة الفائقة آن تواجدنا داخل نطاق نهر السباحة الذي لا يعبر لأن المياه قد طمت!!

(المؤلف)

بديهيات عبورية

في موكب جنائزي مهيب لم يحضره أحد من المشـــيعين؛ تمـت مواراة جثمان القائد الفذ؛ ذلك الشخص الذي بعدما تـهذب بكـل حكمة المصريين صار مقتدرا في الأقوال (سياســيا) والأفعـال (عســكريا) تلقفته اليد الإلهية حين انتهي من ذاته عمليا وهو في الثمانين من عمره من خلال لقاء حاسم اتسم بالذهول محولا مجريات حياته بالكامل؛ بل أيضا بدل قناعات تفكيره من الجذور؛ ألم يكن هو صاحب المقولة التي أوردها في مزمور ٩٠ والعدد العاشر «**أيام سنينا هي سبعون سنة وان كانت مع القوة فثمانون سنة** «فعندما وصل إلي منتهاه بدأت القدرة الإلهية في التشغيل والإنجاز.!! وفي واقع الحال هذه بديهية لا نقاش فيها ولا جدال.!

وكما بدأ به الرب لقاءً علي جبل حوريب مستمتعا برؤيــة العليقة المشتعلة وهي لا تحترق.!! والتي بقيت بمنظرها الخلاب في مخيلته حتي تلك اللحظات الرائعة التي راح فيها يبارك بني إسرائيل الممثلين في الأسباط الاثني عشر.. وعند ذكر بركات يوسف نجده يتفرد بالنسبة له مستخدما عبارة رائعة هي «**رضا الساكن في العليقة**» باعتباره المصدر الحقيقي والأصيل لكل البركات الزمنية والأبدية علي السواء..

لكن عندما دنت النهاية كان لابد وأن يختتم اللقاء علي جبل نبو وهذه ملاحظة جديرة بالانتباه إليها خاصة وأنها تكررت مع كثـيرين وكـأني بالرب يريد أن يقول ويؤكد من خلال ذلك أنه كما تكون البدايــة ستكون

النهاية..!! أما ما يدور بين المرحلتين فهو ما تشتمل عليه الحياة من إنتاجيات.. وإثمارات.. وتأثيرات..!!

والشيء العجيب فعلا أن بداية «شمشون» بحسب الوصف الكتابي **«فكبر الصبي وباركه الرب.. وابتدأ روح الرب يحركه بين صُرعه واشتأول»** (قض١٣: ٢٤و٢٥) أما نهايته فيوردها الوحي المقدس علي النحو التالي **«فنزل اخوته وحملوه وصعدوا به ودفنوه بين صُرعه واشتأول في قبر منوح أبيه»** (قض ١٦: ٣١)

ويبدأ الرب يسوع كلماته متحدثا بأول منطوق دُوِن له في العهد الجديد موجها إياها إلي أمه العذراء ويوسف النجار قائلاً: **«ينبغي أن أكون فيما لأبي»** (لو٢: ٤٩) وبعد قيامته الظافرة يصرح المجدلية مخبرا إياها بقولته الشهيرة **«لأني لم أصعد بعد إلي أبي»** (يو٢٠: ١٧).

وهناك علي جبل «نبو» كانت اللحظة الحاسمة التي وصفها أحدهم قائلا: **إن الله يعلن نفسه للإنسان فيصاب الجسد بضعف شديد بل قد تفارقه الحياة نفسها؛** ويعتقد كثير من اللاهوتيين أن حياة موسى قد أخذت منه بهذه الصورة وهو علي الجبل.!! وأن هذه الحالة قد حدثت مع بعض القديسين غيره.!!

فعل موسى كما البجعة غني أغنيته ثم مات..!!

إن الله يدفن عماله.. لكنه الحيّ إلي أبد الآبدين..!!

إن الله يدفن عماله.. غير أن عمله يستمر..!!

إن الله يغير رجاله.. لكنه لا يغير مبادئ عمله ومقاييس إختياره..

لقد مات موسى.. لكن هل خلت الساحة.!؟

كلا بطبيعة الحال.. إن عند الرب دائما الصـــف الثـاني المعـدّ سماويا والمؤهل إلهيا لتحمل المسئولية.. وتكملـة المســيرة.. فهو – تبارك اسمه – لا تباغته التغيرات أو المواقف؛ وإنما "**معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله**» (أع ١٥: ١٨) فالرب ليس لديه ماض ومستقبل إنما الكل حاضر لديه.. ومكشوف أمام عينيه..

لذلك لا تفاجئنا افتتاحية سفر يشوع من خلال كلمات الرب الموجهة إلي القائد الجديد «**وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا: موسى عبدي قد مات.. فالآن قم اعبر هذا الأردن.. أنت وكل هذا الشعب..**» (يش ١: ١- ٢)

* **لماذا يشوع..** وليس أحد أبناء موسى القائد والمشرع العظيم؟ لأن قيادة شعب الرب لا تورث!! وفي أحد أحاديثه مع الرب أعلن له أنه سينضم إلي قومه!! رد موسى قائلا «**ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلا علي الجماعة ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا لا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها** فقال الرب لموسى **خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه..** ففعل موسى كما أمره الرب (عدد ٢٧: ١٣: ٢٣)

فالقيادة في الإطار الإلهي.. لا تتبع النُظم الملكية التوريثية!!

ولا تخضع للترتيبات الجمهورية الرُتبية!!

ولا حتي الإختيارات الإنتخابية الشعبية!!

وإنما تحكمها اختيارات قيادية عليا هي صاحبة الكلمة الوحيدة فيها فلا مجاملات.. ولا محسوبيات.. أو إستحسانات تجلب المآسي والجمود والخيبة والصدود.. بل والجحود لعمل الرب المقدس!!

ويا ترى هل أدرك موسى هذه الحقيقة منذ البداية؟! أم أنــه نــأي بأولاده بعيدا عن مجالات المسئوليات الجسام نظرا لما عاناه هو في مضمار تكليفاته التي جعلت حميه **يثرون** يشفق عليه قائلا له «**أنت تكل وهذا الشعب أيضا**» (خروج ١٨: ١٨)

* **لماذا يشوع..؟** لأن لكل مرحلة رجال يصلحون لأداء ما يكلفون به من قِبل السماء؛ وهم لا يُختارون بالمقاييس البشرية **كأهل ثقة أو كأهل كفاءة!!** وإنما بمقياس أعلي «**أن فيهم روح**» كما قيل أيضا عن كالب رفيق يشوع «**كانت معه روح أخري**» (عدد ١٤: ٢٤)

* **لماذا يشوع..؟** لأن له ماضي نزيه: يشهد بأمانته ونزاهته التي تبدت جلية واضحة في كل توجهاته.. ومواقفه.. تلك الأمانة التي لا تقاس ولا تقدر فقط في الأمور العظمي وإنما في شتى متطلبات الحياة اليومية «**فالأمين في القليل أمين أيضا في الكثير**» (لو ١٦: ١٠)

الأمانة في البيت.. في الدراسة.. في العمل.. في الخدمة.. في الخلوة!!

الأمانة في أصغر الأعمال وأحقرها.. وأقلها شأنا هي تلك التي تظهر المعدن الحقيقي للشخصية الإنسانية!!

ومـن المؤسف أن تكون هذه النوعية من الأمناء نادرة حتى في الوسط الديني؛ مع أن كلمة مؤمن تحمـل في جذورها معنى الأمين فكل مؤمن يجـب أن يكـون أمينا أيضا؛ لكـن الكتاب يتسـاءل في استغـراب **«الرجل الأمين من يجده»** (أمثال ٢٠: ٦و ٢٨: ٢٠)

وقبل أن نغوص في شخصية هذا القائد الجديد لنضع أيدينا علي أهم مفاتيح الأمانة في حياته؛ فنستخلص لأنفسنا أهم العبر التي تضفي علي فكرنا ومفاهيمنا العمق المتوجب الخوض فيه؛ إلا أننا مدعوين أولا لأن نستوضح من قاموس **ويبستر** ما هو مفهومها وحدود معانيها لنتلمس أبعادها في منهاج حياتنا قولا وفعلا..!!

إنها تعني **الثبات والالتزام بالوعود.. وفي القيام بالمسئوليات..**

وتعني أيضا **الصدق تجاه الحقائق.. أو تجاه المعايير القياسية أو تجاه الأصل..**

وكلمة أمانة لها مرادفات مثل **الإخلاص.. والثبات.. والوفاء والصمود..**

وهي تتضمن معني **المقاومة العنيفة لفكرة الخيانة.. والولاء عن إقتناع.. والتصميم علي الوقوف إلي جانب قضية أو هدف!!**

وعلي الرغم من ندرة الأمناء.. إلا أن وجودهم وتواجدهـم يضفي زخما رائعا في أي مكان وزمان.. وهاهو القائد الأمين – يشوع – تتبدى أمانته أمام ناظرينا مشرقة علي صفحات ماضيه الزاخر العامر مشرقة في سجله الباهر الآسر حيث نجده:_

أمينا في كلامه: فعندما استدعي الأمر أن يقف في خندق واحد مع كالب شريكه في إستكشاف نوعية الأرض الموعودة ضد الأغلبية العشرة من الرفقاء المختارين لإستجلاء معالم وطبيعة الممتلكات الجديدة التي تنتظرهم؛ مؤكدا أنه ليس بالضرورة أن يكون رأي الأكثرية هو الأصح رغم ما يحتويه من ضغوط تصل إلي درجة التهديد والترهيب أحيانا لكنه في جسارة الشجعان الذين لا يعبأون.. ولا يأبهون بما قد يحدث لهم وإنما كل ما يعنيهم أن يبقوا أمناء حتى النهاية.. حتى ولو **إلي الموت** (رؤ٢: ١٠) خاصة وقد تصاعدت الأحداث؛ فلم يكتف هؤلاء العشرة بأن يحتفظوا برأيهم لأنفسهم.. أو يعلنوه دون محاولة فرضه علي الآخرين وإنما **راحوا يشيعون مذمة الأرض التي تجسسوها قائلين إن الأرض التي مررنا فيها هي أرض تأكل سكانها.. وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة.. أشد منا.. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة.. فكنا كالجراد في أعيننا وهكذا كنا في أعينهم** (عدد ١٣: ٣١-٣٣) **فقال كل الجماعة برجمهما** (عدد ١٤: ١٠) وفي توقف لهنيهة دعونا نلاحظ:

** مع أنهم قطعوا من وادي أشكول (الذي يعني عنقود) زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين (عدد ١٣: ٢٣) لكن ذلك كله لم يؤثر فيهم أو في كلماتهم وبالتالي تأثر به بقية الشعب الذي أعلن تذمره المعتاد عندما رفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكي الشعب تلك الليلة وتذمر علي موسى وعلي هرون جميع بني إسرائيل قائلين ليتنا متنا في أرض مصر.. أو **ليتنا متنا في هذا القفر** (عدد ١٤: ١- ٤)

وما أكثر ما تحدث معنا مثل هذه المواقف؛ فعلي الرغم من الخير العميم الذي يغدقه الرب علينا؛ إلا أننا سريعا ما نتأثر بمرأى عيوننا ومسمع آذاننا..!!

** إن أخطر ما يمكن أن يصادفنا من معيقات هو تضخيم ما يواجهنا وتقليل ما بين أيدينا ممثلا في تلك العبارة الغريبة التي تناقلتها وتتناقلها ألسنتنا أحيانا كثيرة «**كنا كالجراد في أعيننا وهكذا كنا في أعينهم**» تلك النظرة **الجرادية** التي تكشف مدي الانهيار الداخلي الذي تسببه توهمات غير حقيقية بالمرة!! فلقد أمضوا أربعين يوما كاملة بين هؤلاء الجبابرة دون أن يحدث لهم أي ضرر..!!

** أما الطامة الكبرى التي جعلتهم يقعون تحت طائلة العقاب السماوي إذ يذكر الوحي «**فمات الرجال الذين أشاعوا المذمة الرديئة علي الأرض بالوبأ أمام الرب**» لكونهم لم يصدقوا مواعيد الرب بالأرض التي تفيض لبنا وعسلا؛ والتي تمسك بها كل من يشوع وكالب بتكليمهما لكل جماعة بني إسرائيل قائلين «**الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها أرض جيدة جدا جدا إن سُرّ الرب بنا يدخلنا هذه إلي هذه الأرض ويعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلا؛ إنما لا تتمردوا علي الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا؛ قد زال عنهم ظلهم.. والرب معنا لا تخافوهم**» (عدد١٤: ٦-٩)

فكما يقولون أن المرء مختبئ تحت لسانه؛ إذا تكلم ظهر..!!

فلم يتكلم يشوع لغة التفاؤل؛ كتلك التي نستخدمها أحيانا مستندين علي الظروف.. أو علي الطقس.. أو علي من حولنا..!!

ولم يتكلم يشوع لغة التشاؤم؛ مثلما حدث من سائر الجواسيس العشرة الثائرين والمتشككين!!

وفي حقيقة الأمر أن الكتاب المقدس ينهانا تماما عن التفاؤل والتشاؤم بقوله في (لاويين ١٩: ٢٦) **لا تتفاءلوا.. ولا تعيفوا** وإن كانت الكلمة الأولي تعني الاستبشار؛ فهي نقيض التطير!! غير أنه من العجيب أن يتضمن معاني الكلمتين بحسب الأصل اللغوي لهما ما يدل علي إستعمال السحر والرقية..!! وهو المغزى العميق للنهي الإلهي عن كليهما!!

إلا أن يشوع ورفيقه تحدثا لغة الإيمان التي لا تتبدل بما يدور حولنا أو حتى بما نراه في أنفسنا أو في غيرنا أو ما يراه غيرنا فينا؛ وإنما تنساب مفرداتها ومرادفاتها من أنهار المواعيد العظمي والثمينة التـي وعدنـا بها الأمـين في كل أقوالـه والسـاهر علي كلمته (مواعيـده) ليجريهـا (أرميا ١: ١٢) «**لأنه مهما كانت مواعيد لنا فهو فيه النعم وفيه الأمين لمجد الله بواسطتنا**» (كو ١: ٢٠)

إن لغة الإيمان.. لغة الأمانة تظهر بكل وضوح في المواجهات الداخلية كما وأنها تستعلن في المعارك الخارجية؛ فلقد كان يشوع أيضا:

<u>أمينا في معاركه:</u> وفي أول معركة فعلية يجتاز فيها الشعب كانت عند رفيديم عندما قاتلهم عماليق وقطع من مؤخرة الجماعة المسافرة كل الضعفاء الذين لم يكونوا قادرين علي المشي السريع لكونهم في تعب وكلل (تث ٢٥: ١٨)

فمنذ اللحظات الأولي عندما قال له موسى «**انتخب لنا رجالا وإخرج وحارب عماليق**.. ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق

(خروج ١٧: ٩و١٠) فإنه ظل في مواجهة العماليق داخل المعركة في الميدان.. **منتصرا أو مهزوما**!! لكي يعلمنا درسا جوهريا في هذا الإطار ألا وهو **أن من لا يتحمل عار الكنيسة وضعفها لا يمكنه أن يشارك في قوتها ومجدها**..!! يشيل الطين أولا ثم التتويج أخيرا..!! «فالذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج.. والذاهب ذهابا بالبكاء حاملا مبذر الزرع مجيئا يجيء بالترنم حاملا حزمه» (مزمور ١٢٦: ٥و٦)

لقد تأثرت المعركة كثيرا وهو يقودها من أسفل بما يطرأ علي يد موسى بأعلى..!!

فالنصرة في الوادي تتحقق بالرفعة علي الجبل!!

واليد المرفوعة عاليا إلي السماء.. تجعل السيف فعالا داخل الميدان

إلا أن الملاحظة المذهلة هي أن **يد يشوع لم تكل من الإمساك بالسيف**؛ وإنما يد موسى هي التي تأثرت علوا وهبوطا..!! وهذا يدل **علي أن المهام المنوطة بأي منا كلما كانت أكثر روحانية؛ فإننا نكون عرضة للشعور بالتعب والإرهاق..!!**

فإننا نستطيع أن نزور المرضي ونفتقدهم طوال اليوم؛ لكننا لا نستطيع أن نبقي بهذه السهولة في مخادعنا نصف اليوم!! فإن قضاء ليلة مع الله في الصلاة لهو أصعب بكثير جدا من تمضيتها في الكرازة والتبشير أو في التحدث عن إختباراتنا وخبراتنا.. أو في التشدق بصولاتنا وجولاتنا..!!

كما وأنه أيضا لابد لنا أن نقر علي ضوء هذه الجزئية بأن:

** **المقاتلين** في الميدان مهما بلغت قدرتهم وإصرارهم علي المنازلة والمقاتلة؛ فإنهم يحتاجون إلي من يسندهم بأعلى متشفعا فيهم!!

** **القادة** مهما علا شأنهم يحتاجون إلي من يدعمهم ويؤازرهم فموسى بطل عبور البحر الأحمر إحتاج أن يدعم يديه كل من هرون وحور الواحد من هنا والآخر من هناك «**فكانت يداه ثابتتين إلي غروب الشمس**» (خروج ١٧: ١٢)

** **الإتكال** علي قوة أذرع القادة - وحدهم - من الممكن أن يعرضنا للكثير من الهزائم!! "**وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب**» (خروج ١٧: ١١)

** **إن في مقابل** كلل يد موسي لابد وأن نتذكر أن هناك اليدين المثقوبتين لشفيعنا الوحيد الرب يسوع المسيح وهما مرفوعتين عاليتين منذ لحظة صعوده وهو يبارك المحيطين به (لو٢٤: ٥٠) ولم يخفضهما بل لازالتا هناك في الأقداس تترافعان عنا بل وترفعانا للعُلا ضامنتين لنا نصرة حياتية زمنية وأبدية لا نهائية.. لا تنكسر ولا تنحسر بفضلهما فهما لا يمكن أن يعتريهما أي ضعف أو وهن ولا تحتاجان بالمرة لأي عضد أو سند..

لقد استمرت أمانة يشوع في معاركه طوال حياته وفي كافة معتركاته حتى أننا لا نستطيع أن ننسي إحدى هذه المعارك بل وأكثرها شهرة وتفردا.. ولما كان وطيسها قد بلغ مداه.. وأحس أنه لابد وأن ينهيها دون أن يبقي منها ما يكمله لاحقا مدركا بحسه الروحي قبل الحربي أنه

«اليوم الذي أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل فقال بجرأة إيمانية غير مسبوقة أو متكررة علي الإطلاق قولته المشهورة: **«يا شمس دومي علي جبعون.. ويا قمر علي وادي أيلون.. فدامت الشمس.. ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه.. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل.. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان»** (يشوع ١٠: ١٢- ١٤)!!

إنه أطول يوم في التاريخ..!!

وهذا الحادث تحدثت عنه أهم السجلات التاريخية المحفوظة في العالم كسجلات مصر واليونان والصين؛ فهيرودتس الملقب بأبي التاريخ قال في تسجيله لتاريخ مصر القديم: إن بعض الكهنة المصريين أروه مخطوطات قديمة تتحدث عن يوم أطول من المعتاد وفي الصين توجد كتابات تقول أن حادثا مشابها وقع أثناء حكم الإمبراطور (بيو) وبمراجعة سجلات تاريخهم إتضح أنه كان يحكم الصين في زمن يشوع بن نون شخص بهذا الاسم؛ بل وحتى تاريخ الهند والمكسيك يتحدث عن توقف الشمس وتأخرها في الغروب في نفس العام الذي أدخل في يشوع الشعب إلي أرض الموعد..!!

ولعهد قريب كان النقاد يتخذون من هذا الحادث سلاحا قويا للطعن في صحة الكتاب المقدس علي أساس خطئه وإستحالته علميا!! واليوم أصبح الإصحاح العاشر من سفر يشوع من أقوى الأدلة علي دقة وصحة ما ورد في الكتاب المقدس..

وقد قام عالم الرياضيات (س.أ.نيوتن) في عام ١٨٩٠ بعمليات حسابية دقيقة حسب فيها أزمنة الاعتدال والكسوف والعبور الشمسي من أيامه رجوعا إلي المنقلب الشتائي في زمن يشوع فوجد أن حادث وقوف الشمس يقع **يوم أربعاء**؛ ثم قام بالحساب عكسيا إعتبارا من يوم الخليقة صعودا إلي نفس الزمن السابق فوجد أنه يقع **يوم ثلاثاء**..!

الفرق إذا هو **يوم كامل**..!! ولو أن الكتاب المقدس يقول أنها وقفت نحو يوم كامل.. فكيف نفسر هذا الاختلاف..؟؟

يسجل الكتاب حادثا آخر في آخر أيام الملك حزقيا فيه رجعت الشمس إلي الوراء ١٠ درجات (أي ما يعادل ٤٠ دقيقة) فإذا أضفنا هذه المدة إلي مدة توقف الشمس أيام يشوع التي حسبها عالم الرياضيات نيوتن أنها تساوي ٢٠ ق و ٢٣ ساعة لنتج عن ذلك اليوم الكامل!!

وقد أثبت العلم الحديث أن الموجات الشمسية الهائلة الذبذبات ٤٠٠ بليون ذبذبة/ ثانية) والتي تقع علي سطح الأرض تسبب دوران الأرض ولو توقفت لتوقفت الأرض.. ولهذا نقرأ أيضا أن القمر قد وقف!!

ولقد حدث مؤخرا سنة ١٩٦٩ إرتباك في الحاسب الالكتروني الضخم بالمنظمة العالمية للطيران NASA فلقد اصطدم الحاسب بنتيجة غريبة وهي أن يوما مفقودا من تاريخ العالم؛ ولم يكن إلا ذلك اليوم الطويل الذي ذكره الكتاب المقدس!! ولم يكن من يجيب عن حيرة هذا الكمبيوتر الضخم سوي كلمة الله المعصومة!!

إن الكلمات والمعارك يحكمها ويتحكم فيها أيضا أنه كان:

أمينا في مبادئـه: نعم وبحق فأصحاب المبادئ هم أبطال الأرض لا يبيعون مبادئهم ولا يفرطون فيها.. أو يتنازلون عنها.. لا يجيدون الألعاب السيركية بالتنقل علي كل الحبال..!! إنما نجدهم متماسكين متمسكين بما عندهم **لئلا يأخذ أحد إكليلهم** (رؤ٣: ١١) وما أكثر المواقف التي تعتبر محكات حاسمة تمتحن وتستبين فيها مبادئنا الرفيعة وقيمنا الرصينة؛ ومن تلك حادثة شهيرة جدا في سفر العدد - سفر البرية.. سفر الجسد بطبيعته العتيقة القابعة في ترقب أية لحظة تقفز فيها لتملأ المشهد بكافة أعمال الجسد ال ١٩ الواردة في رسالة غلاطية الإصحاح الخامس والعدد ١٩ أيضا.!

وفي قمة الثورة الجسدانية الفجة عندما تزعم القورحيين إنقلابا مقاومين موسى مع أناس من بني إسرائيل ٢٥٠ من رؤساء الجماعة **مدعوين للاجتماع ذوي إسم فإجتمعوا علي موسى وهرون وقالوا كفاكما إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب.. فما بالكما ترتفعان علي جماعة الرب.؟!!** (عدد ١٦: ١-٣)

** **الجسد**.. لا يقبل ما لروح الله.. ولا يطيق أن تتسيد عليه الروحانية الحقة (عدد ١٦: ٣)

** **الجسد**.. هو الذي يبحث دائما عـن إجتماعـات ذوي الاسـم علي (١٦: ٢) علي غرار من قالوا قديما نصنع لأنفسنا اسما (تك١١: ٤)

** **الجسد**.. مسعاه الدائم هو شق الصفوف لتتحقق له السيادة المطلقة والمستطابة لديه!! (١٦: ٣)

** **الجسد..** يكيل الإتهامات للروحيين بأنهم يتعالون علي الآخرين بإسقاطات مفضوحة؛ بينما هي حقيقته الصارخة (١٦: ٣)

** **الجسد..** يجيد لغة الإدعاء المنمقة؛ فكل الجماعة بأسرها مقدسة!

** **الجسد..** يقلل في تبجح من شأن الإنجازات الإلهية «لم تأت بنا إلي أرض تفيض لبنا وعسلا (١٤:١)

** **الجسد..** أسلوبه مستهجن وعنيف «هل نقلع عيـون هؤلاء القـوم (عدد ١٦: ١٤)

** **الجسد..** لا يرضي بما إختاره وقسمه له الرب؛ وإنما يتطلع إلي ما ليس له (عدد ١٦: ٩و ١٠)

** **الجسد..** يصنع تكتلا وتآمرا خبيثا ضد الله وعمله وإختياراته وخططه (عدد ١٦: ١٤)

أين كان يشوع..؟ وماذا كان موقفه..؟ لقد بقي وفيا لمبادئه لم ينزلق منضما إلي تلك الجماعة المارقة في محاولة منه ليكون ضمن العظماء ذوي الاسم أولئك الذين يتطلعون إلي الحصول علي ما ليس لهم معترضين ومتعارضين؛ ولقد نالوا جزاءهم المستحق في عجيبة وبدعة حين فتحت الأرض فاها وإبتلعتهم وكل ما لهم هبطوا أحياء إلي الهاوية وعندئذ علم الجميع أن هؤلاء القوم قد إزدروا بالرب.. وخرجت نار من عند الرب وأكلت ٢٥٠ رجلا الذين قربوا البخور (عدد ١٦: ٢٩ - ٣٥)

لقد أثبت أنه بتمسكه بكل المبادئ والقيم القويمة؛ جعله أكثر تماسكا وقدرة علي أن يكون أيضا:

أمينا في تحمله: لكل ما تعرض له طوال سني التيه في البرية سواء من الطبيعة القاسية للصحراء بِحَرِها وبردها.. أو تقلبات شعب صلب الرقبة راح يتساقط من حوله في شتى المواقف والمعارك تحت يد التأديب الإلهية التي أدانت كل هذا الجيل ودفنوا جميعا في رمال الفلاة الصحراوية الحارقة بحسب قول الرب «**في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا عليّ لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكننكم فيها ما عدا كالب بن يفنه ويشوع بن نون**» (عدد ١٤: ٢٩و ٣٠)

إن القــدرة علي التحمل والإحتمال ركيزة بديهية لكل من يتولى القيادة والتعامل مع الجماهير؛ وهي دلالة واضحة علي رجولة مبكرة ودائمــة «**فجيد بالرجل أن يحمل النير في صباه**» (مرا ٣: ٢٧) ويقول الصادهو سندرسنغ: «**إن أصعــب شيء في الحياة أن لا يكون لك نيرا تحمله**»!! وهي أيضا مجال البحث الإلهي المستمر.. والمطلب الرباني المُلح لإتمام المهام وإنجاز المخططات؛ ألم يقل الرب نفسه «**طلبت من بينهم رجلا يبني جدارا ويقف في الثغر أمامي**» (حزقيال ٢٢: ٣٠) فهؤلاء القادة الرجال الأبطال:

* لا **يتحمــلون** فقط عــبء المسئوليــة العظيمة والعمل الضخم؛ وإنما يبقون مؤديــن مهامهــم علي الرغم من الافتراءات والتقولات؛ فيعملون دون توقف كما يقول الرسول بولس «**نتعــب عاملــين بأيدينــا.. نشتــم فنبــارك.. نضطهــد فنحــتمل.. يفتــري علينا فنعــظ**» (١كو ٤: ١٢و١٣)

* يتحملون **مدركين** أن روعة الإنجاز متمثلة في كلمة تبدو وكأنها صعبة المنال وهي «**أكملت**» لها نغمات شجية تهون عند سماعها كل معاناة وتضحيات مهما تعاظمت.. ويكفي أن يعترينا هذا الإحساس الدافئ في نهاية اليوم.. أو في ختام الحياة كلها أن كل منا أتم رسالته علي أكمل وجه بحسب المتاح لديه..

* يتحملون **مؤصلين** فكرة أن الرجولة التحملية الحقة تظهر جلية في مدي تحكمنا في مشاعرنا وانفعالاتنا دون أن تضغط علينا مؤثرة سلبا في قراراتنا التي غالبا ما تكون إنسحابية تقهقرية تاركين مواقعنا لسبب تأذي هذه المشاعر!!

* يتحملون **مُدَلِلِين** بأن الاستقرار الروحي هو سمة أولئك الأبطال المؤتمنين علي أجلّ الأعمال وأكثرها أهمية؛ وفي أهم المواقع وأندرها خطورة؛ لذا فهم في كل الأحوال لا تؤثر فيهم كلمات المدح مهما سمت أو كلمات القدح مهما إنحطت..!!

* يتحملون **متابعين** ففي لحظة لا يتوقعونها سيتنازل الجالس علي العرش داعيا إياهم منوطين بمهام ربما لم تخطر لهم يوما علي بال فالذين لا تشغلهم الكراسي القيادية - ويشوع أحد أبرز هذه النوعية - فالرجل لم يسع إليها علي الرغم من كونه خادم موسى.. والملازم له في كل المواقف؛ والغريب هنا أن أولئك الذين يدعون سماويا غالبا ما يفاجاؤون بها فيتهربون منها مقدمين شتي أنواع الاعتذارات مبدين العديد من التخوفات؛ وهم علي العكس تماما ممن يعشقون الكراسي والمناصب فهم لا يأبهون بالكفاءات ولا المرعيات منحصرة كل أفكارهم

في ذواتهم لكن في النهاية سرعان ما تنهار عروشهم كاشفة سطحيتهم ونواياهم وتنزوي في خيبة أطماعهم وذكراهم..!!

إن الأساس الراسخ لهذا التحمل البطولي لا يمكن أن يتحقق علي نحو مرضي عنه من جانب السماء.. ومقنع ومقبول أمام البشر سوي عن طريق مؤكد هو:

<u>الدعوة الصريحة:</u> وهي الركيزة الحاسمة التي ينبغي أن يرتكن عليها المدعو أيا كانت نوعية خدمته؛ وهي دعوة في المقام الأول مباشرة أي أنها تأتي من الرب رأسا؛ ومع أنها قد تتأكد من خلال عناصر أخري؛ إلا أن هذه العناصر - مهما عظمت - فإنها تفرغ تماما من فاعليتها ما لم يسبقها ويؤيدها دعوة الرب؛ وهذا يضمن عدم الدخول في دوامات دعوة المحيطين وإستحساناتهم.. أو دعوة النفس ونرجسيتها فما أكثر الذين دعوا أنفسهم فقد ظهر بعد صلب المسيح بإثنتي عشرة سنة نبي كاذب إسمه «نادوس» أغري كثيرين أن يأخذوا ثيابهم ويقتفوا أثـره إلي نهر الأردن بدعوي أنه سيفلقه ليعبروا منه! وقال يوسيفوس أنه أضل كثيرين. نعم إن هذه الدعوة السماوية تكفينا طائلة الغوص في ترددات وإنتكاسات المفشلات التي قد نتعرض لها بين الحين والآخر!

وخلاصة القول أننا لن نتمكن من تحمل المضنيات والافتراءات وجسامة المتطلبات المتلاحقات سوي تأكدنا من صحة دعوتنا وصراحتها ومباشرتها..!!

وهكذا كانت الدعوة مع موسى وسائر المستخدمين إلهيا والمحققين للمقاصد العلوية من خلال طاعتهم وقبولهم التكليفات الموجهة إليهم مُتحَدين كل ما يواجههم..

وهاهي **الدعوة الصريحة** ترن في آذان يشوع «**قم اعبر**» ومع أن موسى قد مات إلا أن الرجل خادمه لم يقتحم الموقف.. ولم يُنَصِب نفسه خليفة خلافته مستحقة..!! ولم يتحرك معلنا إستعداده لأن يكمل مسيرة من سبقه؛ ليكون خير خلف لخير سلف!!

** **فالدعوة الصريحة** تكفينا غائلة التسرع الذي حتما ما ينتج شططا وتجاوزا.. وتخطيا للحدود المتاحة!!

** **والدعوة الصريحة** تمنحنا إحتراما لأنفسنا والآخرين من حولنا!!

** **والدعوة الصريحة** تجعلنا في توافق مستمر مع المقاصد السماوية.

** **والدعوة الصريحة** تكشف أن مجالات الصياغة والتدريب قد أتت ثمارها المرجوة للوقت الراهن؛ وتتوقع منا ممارسة وإظهار كل ذلك عمليا في المجالات الجديدة التي تفرضها معتركات المرحلة المقبلة!!

** **والدعوة الصريحة** تعني أنه حينما يعلم المرء أنه دعي لعمل معين فإنه يزداد قوة؛ ومع أنه لا يجهل ضعفاته سواء الجسمية أو الذهنية وهو يدرك أيضا ما سيواجهه من صعوبات؛ وهو يستطيع أن يتبين بسرعة ما قد يوضع في طريقه من أحجار كبيرة أو متاريس حديدية.. أو أسوار معيقة.. أو أنهار تضج مياهها..!!

والعجيب أن الدعوة ليشوع أتته وهو أمام نهر الأردن الممتلئ إلي جميع شطوطه؛ لأن الرب لا يخفي عنا ما قد يواجهنا في دعوته لنا ألم

يقل عن شاول الطرسوسي عند دعوته «**سأريه كم ينبغي أن يتألم لأجل اسمي..**» ويا لها من دعوة مرعبة!!

* **الدعوة الصريحة** محددة المعالم.. معلنة الخطة.. فهي ليست مفتوحة أو(سايبة) بلا منهاج أو تكليفات.!! وفي واقع الحال إن مآسي كثيرة كان من الممكن أن تتجنبها أو تتلافاها كنيسة العلي.. وشعب الرب؛ لو عرف كل منا ليس فقط أنه مدعو من قبل الرب؛ وإنما ينبغي عليه أيضا أن يعرف ويتأكد من نوعية دعوته علي ضوء المواهب والعطايا الممنوحة من الرب لكنيستـه فهو أعطي البعض أن يكونوا **رسلا** والبعض **أنبيـاء** والبعض **مبشرين** والبعض **رعاة ومعلمين لأجل تكميـل القديسـين لعمـل الخدمـة لبنيـان جسـد المسيـح** (أف ٤: ١١-١٢)

وهذا يظهر جليا أنه ليست الدعوة هي ما يجب أن تكون إلهية فقط وإنما نوعية الخدمة أيضا!! فليس هناك الخادم الكشكول: اللي له في كل حاجة!! لأن أرضية الواقع لابد وأن تكشف أن من يدعي أن له في كل شيء هو لا يجيد في أي شيء!!

وعلي الرغم من أن العالم حولنا بات يؤمن بالتخصص إلا أن عالمنا الروحي في مجال الخدمة الكنسية لا يرضيه سوي التسيد والسيطرة علي كل مقاليد الأمور خاصة من جانب بعض الرعاة وأسرهم دون أن يتركوا أية فرصة لابداعات الآخرين المدعوين سماويا والموهوبين علويا.

* **الدعوة الصريحة** خطة محددة المعالم قم اعبر هذا الأردن...

* **الدعوة الصريحة** لها توقيت معلن **الآن**.. لقد جاء الوقت.. فلكل شيء تحت السماء وقت.. وأرجو ألا يخفي علي أحد منا أن العنصر الثالث

الخطير جدا في أمر هذه الدعوة؛ والذي يأتي مباشرة بعد تأكد مصدر الدعوة.. ومنهج الدعوة.. إنه توقيت الدعوة.. فلا تعجل فيها ولا إبطاء..!! وهذا يتطلب حساسية بالغة وإستعداد عميق ففور صدور الأمر الإلهي يكون لسان حالنا «**هاأنذا ارسلني**»

* **الدعوة الصريحة** توضح الدور المنوط به كل مدعوُ مبرزة - في غير إجهاض أو إنتقاص - لما أنجزه من سبقوه؛ فهناك من تعبوا ونحن دخلنا علي تعبهم؛ فإن كان السلف موسى عبر بالشعب البحر الأحمر الذي يفيد إنفصالنا عن العالم ونجاتنا من قوة وسطوة رئيسه بواسطة دم الفصح المرشوش علي القائمتين والعتبة العليا..

فها هو الخلف المدعو والمعين سماويا يشوع يقود الشعب عابرا بهم الأردن الذي يشير إلي إشتراكنا في البركات السامية الخاصة بقوة الروح القدس ونوال مواهبه الفائقة للطبيعة والتي ترمز إليها بركات أرض كنعان ممثلة في الينابيع العليا والينابيع السفلي أيضا..

* **الدعوة الصريحة** ليست هائمة علي وجهها تتخبط هنا وهناك دون أن يكون لها محطة وصول وإنما تتمثل نهاياتها في إمتلاكات مذهلة لوعود عظمي وثمينة للأرض التي تفيض لبنا وعسلا؛ أرض ممتدة حدودها معطاة من الرب: «**من البرية ولبنان هذا إلي النهر الكبير نهر الفرات وإلي البحر الكبير كل مكان تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته**» (يش ١: ٣)

لكن يا تري هل يكفي أن تكون مدعوا سماويا.. ومؤهل خططيا ومتحرك توقيتيا لكي تصل إلي نهاية المطاف؟ كلا بطبيعة الحال فلا

شك أنه يبقي هناك عنصر فاعل وغاية في التأثير ألا وهو:

رفقة الرب المستمرة: فماذا تعنيني الدعوة دون رفقته إنها ستمثل ضغوطا هائلة ينأى بها كاهل أي مدعو مهما كانت إمكاناته وآلياته ومهما عظمت دعوته.. وإتسعت خطته.. وتوافقت توقيتاته.. لا شك أن يشوع تنفس الصُعداء عندما تشنفت آذانه بهذه المقولة المتفاضلة أو'قل الوعد المتواصل كما كنت مع موسى وعلينا هنا أن ندرك أن هناك ناحية واحدة فقط ينقص فيها يشوع عن سلفه العظيم؛ فمع أن كلاهما كان في صلة دائمة مع الله؛ لكن يشوع كان عليه أن يطلب مشورة الرب عن طريق الكاهن الأعظم؛ بينما كان موسى يتحدث إليه مباشرة متكلما معه **«وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه»** (خر ٣٣: ١١) في مقابلة مع (عدد ٢٧: ١٩– ٢١)

كما كنت مع موسى رعب عظيم حجم المسئولية التي ألقيت علي كاهله أن يعبر بالشعب نهر الأردن..!! لكن الرعب الأعظم أن يأتي يشوع خلفا لقائد متفرد كموسى!! فهو المقتدر القائد والمشرع (تث ٣١: ٧و٨). فكيف يعظ مبتدئ بعد متكلم مفوه..؟ وهل يجرؤ شاب حَدَث أن يرعى كنيسة خلفا لراعى محنك.؟! وبداهة لم يكن علي يشوع أن يقوم بالمقارنة بينه وبين من سبقه فتتعطل حياته.. وتتوقف إنجازاته!!

وهذه عبرة جديرة بالالتفات إليها فلسنا مطالبين بأن نقيس أنفسنا حتى علي أنفسنا ولا نقيس أنفسنا علي آخرين (٢ كور ١٠: ١٢) لأن ذلك يؤكد عدم فهمنا لحقيقة هامة؛ ألا وهي تنوعنا وتفردنا كل منا عن غيره؛ ليس فقط في الإمكانات وإنما أيضا في الإنجازات؛ وإذا وضعنا ذلك نصب

أعيننـا دائمـا سنسلـك في قانوننـا بـزيادة وليـس في قـانون غيرنـا (٢ كور ١٠: ١٣- ١٦)

لقد إستطاب فؤاد القائد الجديد بالوعد المبارك برفقة الرب له إلا أن فيض المواعيد لم يتوقف عند هذا الحد وإنما تجاوزه إلي مدي أبعد مؤكدا وعدا قديما قيل للشعب كله في (تث ٧: ٢٤) **لا يقف في وجهك إنسان كل أيام حياتك** بالمعني الذي قيل عن جون نوكس أن لم يكن يخشى وجه إنسان مصنوع من التراب..!! حتى أن ماري الدموية كانت تحسب له ألف حساب..!!

وإذا تساءلنا في إخلاص هل يا تري تحقق هذا الوعد فعليا في حياة يشوع.. لكان علي الفور جوابنا نعم وبملء الفم..!! ففي مجال فتوحاته العسكرية تذهلنا انتصاراته الجبارة علي ٦ أمم هم الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون (يش ١٢: ٨) أما عدد الملوك الذين هزمهم فبلغ ٣١ ملكا (١٢: ٢٤)

وتتوالى المواعيد في تصاعد يجعلنا عندما نسمعها أو نقرأها نفغر أفواهنا تعجبا وإستغرابا لتنازل النعمة الإلهية التي فاقت كل توقع أو حتى تصور!! فالرفيق السماوي يفيض من غناه علي من هم في رفقته فيشيع في جنباتهم الطمأنينة والتشجيع وها هو يقول في تحنان أبوي فريد **لا أهملك.. لا أتركك.. تشدد.. وتشجع.. إنما كن متشددا وتشجع جدا.. تشدد.. وتشجع.. لا ترهب.. ولا ترتعب.. لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب** (يش ١: ٦و ٧و٩)

ومن الملفت للنظر والجدير بالانتباه هو الترتيب الذي وردت به هذه الأقوال المباركة **كما كنت مع موسى.. لا يقف في وجهك إنسان ثم تأتي لا أهملك.. لا أتركك** قبل أن ترد **تشدد وتشجع** فكيف يمكن لأي منا أن يتشجع ويتشدد وإحساس بالإهمال والترك يعتصر ما بين حشاياه ويؤثر علي معنوياته..!!

لا يا يشوع لن تكون يوما كمًا مهملا.! فأنا بك معتنى. فأنت خادمي الذي دعوتك..!!

ولن تأتي لحظة تكون فيها متروكا فأنت دائما في رفقتي؛ تنعم بروعة ودفء معيتي؛ فحيث أكون أنا هناك يكون أيضا خادمي (يو١٢: ٢٦)

ومن المؤكد أن هذه الوعود المتلاحقة أثلجت صدره وهو مقدم علي أمور لم يسبقه إليها غيره لعله كان يتعلم منها شيئا يطبقه عندما تواجهه ظروفا متشابهة متماثلة؛ إلا أن آثار هذه العبارات الفياضة امتد تأثيرها حتى إستعان بها الرسول بولس في (عب ١٣: ٥) بواسطة اللغة اليونانية وقوة أفعالها مستخدما في هذه الآية ٥ حروف نفي تؤكد عدم ترك الرب لواحد من شعبه وخاصة القادة منهم..!!

لأنه قال لا ولن أهملك.. لا ولن أتركك..!

إلا أن الشي المثير في دعوة يشوع أنه لم يعترض كموسى!! أو يرفض متصاغرا كإرميا وعاموس!! وحتى لم يتناقش.. أو يتنحى!! ودار في داخلي تساؤل وحيرة لماذا يا ترى لم يصدر من جانبه أي من ردود الأفعال هذه أو غيرها؟؟ لماذا لم يتردد حتي في القبول؟؟

* هل لروعة المواعيد المتهاطلة عليه خاصة وهي قد شملت كل ما يمكن أن يعتريه؛ ففي ضعفه جاءه القول **تشدد.. كن متشددا** وفي خوفه أتاه الصوت **تشجع.. تشجع ولا ترتعب.. تشجع جدا..!!**

* أم هل لأنه تعلم أن ما يريده الرب لابد وأن يحصل عليه لأنه لا يتنازل عن أولئك الذين دربهم وصاغهم لزمن إستخدامهم!!

* أم هل لأنه أحس بخطورة الموقف فلا مجال للتنحي.. أو التهرب أو التدلل.. أو شتي أشكال التواضع الزائف..!!

غير أنني أعتقد أن السبب الجوهري وراء ذلك هو أن الرب وضع يده علي الكلمة المفتاحية في حياة يشوع وهي **لا يبرح** مذكرا إياه بالمنهج القويم القديم الذي سار عليه طوال سني عمره الماضية والمتعلقة بخدمته لموسى ففي (خروج ٣٣:١١) جاء القول «**وإذا رجع موسى إلي المحلة كان خادمه يشوع بن نون لا يبرح من داخل الخيمة** «إنه الرجل الذي لا يترك موقعه.. ولا يُبقِي مكانه فارغا..!!

فكما كنت لا تبرح مكانك داخل الخيمة متمسكا بموقعك حتى لو كان موسى غير موجودا؛ فعليك أن تتمسك أيضا بسفر هذه الشريعة **فلا يبرح** من فمك.. بل تلهج فيه نهارا وليلا..

وعليك أن تدرك أن الكلمات التي تنقل إلي البشر الأفكار العظيمة هي تلك التي ملأت نفوس الذين نطقوا بها أولا؛ فهناك كلمات لا يمكن النطق بها دون أن تبعث في الإنسان روح البطولة والجرأة والإقدام!! وكما صلي كريسماس إيفانز يوما قائلا: **امنحني أن أشعر بقوة كلمتك قبل الكرازة بها؛ كما أشعرت موسى بقوة عصاه قبل ما رأي تأثيرها علي أرض ومياه مصر..!!**

فكما تعودت أن تنطق بكلمة الإيمان المكلفة؛ ولكي تضمن توفرها علي شفتيك في كل موقف فلا سبيل إلا أن **تلهج** بالكلمة المقدسة فيكون في ناموس الرب مسرتك.. وفي ناموسه **تلهج** نهارا وليلا لا تكف عن اللهج فيها وترددها في صحوك ومنامك.. في دخولك وخروجك في ليلك ونهارك؛ فهي تصلح لكل الأوقات.. ولكل المواقف نافعة للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر (٢ تيمو ٣: ١٦)

ولا يفوتنا التنويه عن هذه الكلمة المعبرة «**تلهج**» فهي في الإنجليزية meditate وفي العبرية hagah وفي كلتيهما يتضمن معني الاستغراق والتفكير في أمر ما بغاية الإمعان.

لا يبرح.. لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه: إن شئت أن تعمل عمل الرب كما يريد الرب؛ فلا سبيل أمامك إلا اتباع دستوره ومنهاجه الحي الفعال – كلمته – فهي الإطار الصحيح الذي تقاس عليه أفكارنا.. وإختباراتنا.. وأعمالنا.. وخدماتنا.. وسلوكياتنا.. فلكل كمال في الأرض نجد حدا أما وصية الرب فهي واسعة جدا.. في طريق وصاياه نجري ففيها تِرحَابٌ لنا.. وترحِيب لقلوبنا (مزمور ١١٩: ٩٦ و ٣٢)

ليكن كل عملنا إنما هو **حسب** ما هو مكتوب فيه؛ لأننا بذلك نضمن القبول الإلهي والموافقة التي تعلن بواسطة مجيدة وهي تجلي المجد الأسني.. ولعلنا لا ننسي أنه عندما أقيمت الخيمة علي **حسب المثال** وشيّد الهيكل وفقا **للمثال** كانت النتيجة الحتمية هي أن سحابة مجد الرب ملأت كليهما (خر ٢٥: ٩ و ٤٠: ٣٥ وأيضا ١ أخبار ٢٨: ١١و١٢ و ٢ أخبار ٧: ١و ٢)

ولما حاول داود أن ينقل التابوت بغير أن يكون ذلك حسب المرسوم كانت النتيجة أن عُزا اقتحمه الرب في الطريق مما أغضب داود وأحزنه في ذات الوقت؛ إلا أنه تدارك خطؤه وعاد ليتبع ما يجب عليه فعله (١ أخبار ١٣: ١٠ و ١٥: ١٣)

إن أمور الله لا تتداخل فيها وجهة نظرنا.. أو متطلبات ظروفنا ومجتمعاتنا سواء في العبادة أو الخدمة أو العلاقات.. أو حتى المفاهيم والتفسيرات الإجتهادية تسهيلا وتصعيبا؛ وإنما يجب أن تقابل من جانبنا بكل تحفظ وتحفز لنؤدي كل ما نكلف به وفقا للمعايير الكتابية البحتة دون أدني فذلكة أو إستحسان أو حكمة بشرية مهما بلغت!

لا يبرح.. لأنك حينئذ تصلح طريقك: إن الخطوات الصحيحة والوحيدة التي ينبغي أن تتخذ لإصلاح طرقنا لا تتحقق إلا **بملاحظة أنفسنا والتعليم.. لأننا إن فعلنا ذلك نخلص أنفسنا والذين يسمعوننا** فما نعيشه هو الذي يؤثر فينا وفي غيرنا - لا ما نقوله - لأن المنطقة التي سيلمسنا فيها الرب من خلال كلمته؛ هي بعينها ستكون الدوائر التي سنلمس فيها الآخرين!! فكل إصلاح لطريقنا.. هو إصلاح في بيوتنا وفي مجالات خدمتنا المتاحة!!

فلا أحد منا يستطيع أن يصف لغيره طرقا لم يسر فيها هو أولا..

ولا في قدرة شخص أن يعلم سواه درسا لم يتعلمه هو قبلا..

ولا يجرؤ كائن عاقل مخلص سوي أن يحكي اختبارا لم يسبق له أن اجتاز فيه..

فلأن يشوع عَبدَ الرب كل أيام حياته (١١٠ سنة) إستطاع أن يقول في أخريات أيامه «**أما أنا وبيتي فلنعبد الرب**» (يش ٢٤: ١٥)

إن أفراد عائلاتنا تنعكس صورتنا عليهم..!! وكذلك أعضاء كنائسنا هم صورة منا يتأثرون حتما بما نقدمه لهم؛ ليس كلاما فقط وإنما سلوكا أيضا ولقد قال «أزوالد سميث: **إن الراعي الجسدي ينتج دائما كنيسة جسدية والراعي المشغول بالعالم تكون له كنيسة مرتبطة بالعالم؛ لكن الراعي الروحي لابد وأن تكون له كنيسة روحية؛ لأنه كما يكون الراعي هكذا تكون الرعية.. لذا فنحن مسئولون أمام الله عن روح كنائسنا!!**

لا يبرح.. وحينئذ تفلح: لا تمل عنها يمينا أو شمالا فكل انحراف يبدأ بالبعد عن الكلمة.! فينتج عن ذلك فشل ذريع.! أما إن شئت النجاح والفلاح فعليك باللهج في الكلمة **فتكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح** (مزمور ١: ٣)

ويبدو أن هذه الوصية الإلهية إستقرت بين جنبات داود وإختزنها في وجدانه فنطقت بها شفتاه كجزء حاسم من وصيته لإبنه سليمان ليبني بيتا للرب إله إسرائيل قائلا له: **الآن يا ابني ليكن الرب معك فتفلح** (المعني لكلمة تفلح هو تتعقل وتفطن) **فتبني بيت الرب إلهك كما تكلم عنك؛ إنما يعطيك الرب فطنة وفهما ويوصيك بإسرائيل لحفظ شريعة الرب إلهك حينئذ تفلح إذا تحفظت لعمل الفرائض والأحكام التي أمر بها الرب موسى لأجل إسرائيل.. تشدد وتشجع.. لا تخف ولا ترتعب** (١ أخبار ٢٢: ١١- ١٣)

لقد أمر الرب يشوع فأطاعه.. بعدها أمر يشوع عرفاء الشعب فأطاعوه؛ فعندما نطيع نحن الرب لابد وأن يطيعنا من هم حولنا وتحت إمرتنا؛ وهذا يعني نجاحنا وفلاحنا؛ ألا يدعونا ذلك إلي صحوة ورجوع من القلب لكلمة الرب مصغيين إلي نداء النبي في الإصحاح الثامن والعدد العشرين «**إلي الشريعة وإلي الشهادة إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر**»!! (إش ٨: ٢٠)

فكلمة الرب - الكتاب المقدس - كما وصفها أحدهم بأنه نور السائح وطعام الجائع.. وتعزية الحزين.. وسلام الضعيف؛ اقرأه ببطء وإنتظام وبروح الصلاة.. ودعه يملأ الذاكرة ويحكم القلب ويقود الخطوات.. إنه خريطة المسافر للأبدية.. وعصا السائح المسيحي وبوصلة الراكب سفينة الحياة نحو السماء.. وسيف جندي الصليب والبرنامج الذي يجب أن ينفذه كل مؤمن.. هو كنز لا ينفذ.. وأوقيانوس مجد لا قرار له.. وجنة طيبة جمعت كل مشتهي.. ونهر سرور مبارك لم تدنسه جراثيم قط..!!

إنه موضوع تسليتنا في الحياة.. وتعزيتنا عند الموت.. وستعلق ذكراه بأفكارنا طول الأبدية.. إقرأه لتكون حكيما.. وآمن به لتكون آمنا ومارسه لتكون قديسا.. ولا تنسي بأنه يوجد أعظم رجاء لأشر خاطئ يقرأ هذا الكتاب!! كما وأنه يوجد أعظم خطر لأعظم قديس يهمل قراءة هذا الكتاب..!!

وهكذا عرفنا أن حياة العبور تتطلب

أمانة دائمة..ودعوة صريحة..

ورفقة واضحة.. وشريعة فعالة..

استعدادات محورية

علي قطعة من العملة الرومانية القديمة وجدوا صورة ثور واقفا بين مذبح ومحراث.. وتحتها هذه العبارة: **مستعد لواحد من الاثنين أي** مستعد إما **للذبح كتقدمة للآلهة.. أو للعمل للخدمة** أما المسيحي المكرس فيقول: **أنا مستعد للاثنين أن أضع نفسي علي مذبح التكريس للمسيح وهذا يؤهلني لكل أنواع الخدمة المكرسة..**

إن مثل هذه العبارات وغيرها تثبت بما لا يدع مجالا للمناظرة النوعية المطلوبة والمرغوبة من فئة ملتهبة القلب.. مشتعلة الوجدان يجعلها مستعدة لكل عمل صالح؛ معلنة بذلك عن خطوة محورية هي الأساس المتين لعنصر مبدئي لا غني عنه ولا بديل له هو:

التهيئة الشخصية: ولا يجب أن يغيب عن بالنا قط أن كل فشل في الإستعداد هو إستعداد للفشل؛ وعلينا أن نلاحظ أمرا بالغ الأهمية قد قاله الرب ليشوع ليبلغه للشعب بأن **هيئوا لأنفسكم زادا** بمعني أنه ينبغي أن تتوافر التهيئة والإستعداد الشخصي لكل عابر لأنه لا يمكن أن تحقق الإنجازات دون تهيؤ مُسبَق..!!

فعزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب.. (عزرا ١٠:٧)

وتشدد يوثام لأنه هيأ طرقه أمام الرب إلهه..(٢ أخبار٢٧: ٦)

ويهوشافاط هيأ قلبه لطلب الله.. (٢ أخبار ١٩: ٣٠)

وداود بكل قوته هيأ لبيت الرب.. (١ أخبار ٢٩: ٢ و ٣)

لكن السؤال المحير هو لماذا طلب الرب منهم أن **يهيئوا لأنفسهم زادا** مع أن المن لم يكن قد إنقطع بعد..؟؟!!

* **هل كان المقصود** هو إعلامهم أن زادهم الذين يهيئون لأنفسهم لابد وأن ينتهي إذ أنه محدود المدة؛ أما المن الذي يمطره عليهم الرب يوميا فهو مستمر معهم إلي أن يقدم لهم بديلا يتوافق مع مرحلة لاحقة!!؟

* **أم أن الغرض** من وراء ذلك ألا يترك أحد موقعه ليبحث عن طعامه منشغلا عن رحلة العبور المرتبة؛ فكم عطلت المعايش اليومية حياة الكثيرين عن الإستمرار في مستوي إستعدادي يليق بسمو هذه الدعوة المباركة بل والفائقة..!!؟

* **أم لأن المن** كان سيتلف حين تعرضه لمياه الأردن الهائجة التي يعلو رذاذها من تأثير الأمواج المتلاطمة؛ وهكذا أحيانا تُحجَب بعض عطايا الرب وهباته الممنوحة لنا عندما تطرأ أية تعديلات مؤقتة في التحرك؛ إلا أنها سريعا ما تعود مُكمِلة معنا مرحلتها حتى النهاية!!؟

* **أم أن المعني** المُستشف هو أن يرسخ الرب في أعماقهم فكرا مضمونه هو: أن لكل مرحلة تهيئة وإستعداد خاص بها لا يمكن التغافل عنه بعدم تنفيذه؛ أو حتى إختيار بديل له مهما كانت أفضليته من وجهة نظرنا القاصرة..!!؟

* **أم أن القصد** من وراء تهيئة الزاد هو إظهار مدي الرغبة الشخصية العميقة في العبور نحو حياة أكثر تحقيقا للمواعيد ونوالها!!

أما إذا أردنا أن نعرف المعنى العميق لكلمة «**مستعد**» فعلينا الرجوع

إلي أصلها اليوناني وهي كلمة «**بروثومس**» وهي مكونة من مقطعين الثاني هو «**ثومس**» وهي تطلق علي «الترمس» الإناء الذي يحفظ الأشياء ساخنة؛ كما أنها تستخدم أيضا للدلالة علي مدي الحرارة فيما يتعلق بالملابس الداخلية الحرارية التي ُتبقي الجسم دافئا رغم البرودة المحيطة به من كل جانب!!

إنها كلمة تعني الغليان!! أي أن يكون القِدر حارا لدرجة الفرقعة التي يكون من نتيجتها رفع الغطاء لأعلي بل وفتحه أيضا!!

أما إذا أضفنا إليها الكلمة السابقة لها وهي (برو) فإنها تعني الغليان أولا؛ وهي كلمة مفضلة عند الرسول بولس وما أكثر ما قال «**أنا مستعد**» أي أنا أغلي.. أنا أشتعل.. أنا مهيأ.. أنا في الخط الأول **أنا مستعد** وأريد أن أكون هكذا دائما..!!

ألم يصف الكتاب خدام الرب بأنهم «**لهيب نار**» (**خدامه نارا ملتهبة**) ومعني اسم **السرافيم** أنهم المشتعلون اللامعون!! ولقد قال «جم إليوت «شهيد الإكوادور متسائلا: **هل أنا ملتهب؟ نجني من أن أكون فتيلة لا تشتعل..!! إمنحني أن أتشبع وأمتلئ من زيت الروح حتى أستطيع أن أكون لهيبا.. مدركا أن اللهيب قصير العمر..!!**

إن هذه النوعية من المستعدين المُتهيئين لابد وأنهم يدركون أن هناك ركيزة أخري لا تقل عما إتخذوه من قرارات وتضحيات لكي يبقوا دائما علي أهبة الاستعداد ألا وهي:

الميقات الزمني: آه يا ليتنا ندرك أن الحياة درس كتابها الزمن وسطورها الأيام ومعانيها الساعات ومفهومها الدقائق والثواني!! وليتنا

نعتبر فما أكثر العبر وأقل الاعتبار!! لأن الحياة التي نحياها هي مرة واحدة فقط وغير قابلة للتكرار وأن الوقت الذي يفلت من بين أيدينا لا يمكننا استرجاعه.. فعقارب الساعة لا تعود للوراء..!!

وأننا نستطيع أن نتحرك في المكان إلي الخلف والأمام والجانب ولكننا نتحرك في الزمن نحو إتجاه واحد فقط من البداية إلي نهاية حياتنا **وما الزمن سوي صورة متحركة للأبدية** كما قال أفلاطون..!! ولقد صوّر فنانو الإغريق الزمن برجل مُسِّن يجري علي أصابع قدميه مثبتا في رجليه جناحان كبيران؛ حاملا في يده اليمني منجلا؛ بينما تتدلي خصلات شعره علي جبهته في الوقت الذي سقط شعره علي مؤخرة رأسه..!!

والغريب والعجيب أن كلمة «الزمن «باللغة اليونانية هي CHRONOS وهي إسم الإله الذي إلتهم أطفاله..!! وهذه حقيقة رغم وضوحها فإننا نكاد نجهلها؛ أو ربما في خداع لأنفسنا نتجاهلها مع أن الزمن يلتهم الصحة.. والأموال.. والأجيال.. والتاريخ.. والحضارات..!!

ولا ينبغي أن يفوتنا قط ما قاله «توزر»: **أن الله يسكن الأبد ولكن الزمن يسكن في الله.. وأن الله موجود في بداية الزمن وفي نهاية الزمن في نفس الوقت..!!** ولذلك فهو يولي التوقيتات أهمية عظمي فهو خلق أنوارا في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين (تك ١: ١٤)

كما أنه كان ضمن رجالات داود من بني يساكر فئة أطلق عليهم أنهم «**الخبيرين بالأوقات**» (١ أخبار ١٢: ٣٢) وفي قاموس GNORTS كلمة الخبيرين في أصلها العبري تعني من (يعون.. يفهمون.. يدركون)

ولا شك أن مشيئة الله أن ندرك بأرواحنا الوقت الذي نعيش فيه وعندئذ نؤدي المَهَمَة التي ينبغي أن نتممها في ذلك الوقت بعينه مفتدين الوقت مقتدين بسيدنا ومثالنا صاحب الشعار الفعال «**لم تأت ساعتي بعد لقد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان..!!**» (يو٢: ٤و١٧: ٣٠و٨: ٢٠و١٢: ٣٧) حيث يستخدم السيد كلمة (أورا- Hora) التي تعني ساعة الله المحددة المحتومة؛ هذه الساعة ثابتة لا سبيل إلي تغييرها حاسمة لا مناص من الوقوع تحتها؛ مُلزمة ينبغي أن نقبلها كما هي بلا مناقشة أو جدال لأنها الساعة التي حددت فيها حكمة الله وخطة الله وقوع أمر من الأمور في برنامجها!

ولكن الكلمة التي يستخدمها الرب في (يو٧: ٩) «**لأن وقتي لم يكمل بعد**» ليست كلمة «**أورا**» إنها كلمة «**كيروس**» التي تعني فرصة مناسبة إنها تعني أفضل موعد يناسب أمر ما؛ إنها تعني اللحظة التي تناسب فيها الظروف القيام بمثل هذا العمل؛ إنها تعني اللحظة التي تتفتح فيها نفس الإنسان لقبول هذا العمل في نفس اللحظة التي ينبغي أن يغتنمها لئلا تذهب ولا تعود. ولعل الكلمة المميزة لبشارة مرقس هي «للوقت» التي وردت فيها أكثر من أربعين مرة..!!

تخيل أن هناك بنكا يقدم لك رصيدا في كل صباح ومقداره ٨٦٤٠٠٠ جنيها ولكنه لا يقوم بترحيل الرصيد من يوم لآخر؛ ففي مساء كل يوم يلغي أية قيمة تفشل في إستخدامها طيلة اليوم فماذا تفعل؟؟

بلا شك أنك تسحب يوميا كل قرش.!؟

حسنا إن كل فرد عنده مثل هذا البنك إسمه **الوقت** وفي كل صباح

يقدم لك ٨٦٤٠٠٠ ثانية وفي المساء يشطب علي الوقت الذي لم تستثمره ولا يوجد رصيد مرحل أو سحب إضافي؛ إنه يفتح حسابا جديدا كل يوم فإذا لم تستخدم رصيدك فأنت الخاسر وحدك!!

لا رجوع للوراء ولا سحب للغد بل عليك أن تحيا بحسب رصيدك الحالي يوميا وتستفيد منه لكي تحصل علي أفضل صحة ونجاح..

- لكي تدرك قيمة **عام** إسأل طالبا رسب في الامتحان!!
- لكي تدرك قيمة **شهر** إسأل التي ولدت طفلا قبل تمام بلوغه في بطنها..!!
- لكي تدرك قيمة **أسبوع** إسأل محرر لجريدة أسبوعية!!
- لكي تدرك قيمة **يوم واحد** إسأل عاملا بالأجرة اليوميـــة ومسئولا عن الأطفال..!!
- لكي تعرف قيمة **ساعة واحدة** إسأل المحبين الذين ينتظرون المقابلة بينهما..!!
- لكي تعرف قيمة **دقيقة واحدة** إسأل شخصا لم يلحق القطار!!
- لكي تعرف قيمة **لحظة من الزمن** إسأل شخصا نجا من حادثة!
- لكي تعرف قيمة **واحد علي ألف** من **الثانية** إسأل شخصا ربح الميدالية الفضية في المباريات الدولية..!!

ليتك تحرص علي كل دقيقة تمتلكها..

وهنا تساؤل يفرض نفسه علي الساحة فحواه **يا تري من هم أولئك الذين يُقدِّرون الوقت ويعيشون وفق الحكمة الذهبية القائلة إن الوقت المفقود لا يسترد بالنقود..!!**

وعلي الفور تلح علينا الإجابة الشافية الوافية علي ضوء كلمة الرب والمرتبطة برقم ٣ في الكتاب المقدس مرجعنا.. ودستور فكرنا وسلوكنا والتي نحصرها بعد أن حاصرتنا في عدة توجهات:

أولها: أن الرب أمر موسى أن يذهب الشعب لسفر ثلاثة أيام في البرية وبعدها يقدمون ذبائحهم؛ إلا أن فرعون صاحب الإعتراضات الأربعة الشهيرة رد قائلا: **إذبحوا لإلهكم في هذه الأرض!!** فأتاه الجواب حاسما باترا علي فم موسى «**لا يصلح**» وما أكثر الدروس والعبر التي نستخلصها من هذه العبارة البليغة القصيرة

لا يصلح: الإعتراض إطلاقا علي أوامر الرب الواضحة والصريحة

لا يصلح: أن نقدم عبادة حقيقية للرب - يهوه - وسط أصنام مصر ومعبوداتها الوثنية المتعددة..!! **«الساجدين علي السطوح لجند السماء الساجدين الحالفين بالرب والحالفين بملكوم»** (صف ١: ٥)

لا يصلح: أن تعلن شهادة حقيقية ولازلنا نرسف تحت وطأة العبودية وصغر النفس..!!

لا يصلح: أن تكون حياتنا ملكا لإلهنا؛ إلا من خلال الإنفصال التام والبعد الكلي عن أية مؤثرات أو سلبيات تعيقنا عن التكريس الكامل المستحق لشخصه المتفرد..!!

لا يصلح: سوي بالتخلص من كل رغبة في العودة والانطلاق نحو آفاق لا تمكن فرعون من اللحاق بنا بغرض إعادتنا لسطوته مرة أخري!

لا يصلح: إلا من خلال التخلي عن المستويات المألوفة والعادية والتطلع إلي كل ما هو فائق ومدهش ومثير!!

لا يصلح: أن نتبع سياسة الباب الخلفي الموارب؛ والتي تجعلنا مشتتي الفكر.. وموزعي الإرادة بين المضي والبقاء!!

لا يصلح: إلا بالتيقن من صدق الدعوة.. وجرأة الإيمان!!

هذا كله تم قبل العبور الأول لشعب الرب في البحر الأحمر - بحر سوف -

ثانيها: كان لابد أن يسبق العبور الثاني أيضا ثلاثة أيام ليقوم الشعب بإجتياز- نهر الأردن - وهذه المرة ليس هناك أية اعتراضات من أحد لكن **لماذا ثلاثة أيام؟؟**

إنها فترة معروفة في الكتاب المقدس بين **الموت والقيامة!!**

«كما كان يونان في بطن الحوت ٣ أيام و٣ ليالي؛ هكذا يكون ابن الإنسان أيضا» (مت ١٢: ٤٠)

«يحيينا بعد يومين وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه» (هو٦: ٢)

لذلك كان من اللائق أن تمر هذه الفترة قبل أن يعبر الشعب من **العبودية إلي الحرية!! من القبر إلي القيامة!!** ولعل هذه الحقيقة

الغالية ترسخ قاعدة محكمة لأولئك الذين يرغبون صادقين في تطبيق وتطابق توقيتات الأزمنة الإلهية علي مجريات أعمارهم وحياتهم حتى في أدق تفاصيلها وتفصيلاتها بحيث يضعون نصب أعينهم أنه **لا قيامة بدون موت.. ولا تاج بلا صليب.. ولا مجد بدون ألم.. ولا مكاسب بغير تضحيات..!!**

فإن كنا لأجله نميت أنفسنا كل النهار حاسبين أننا كغنم تساق للذبح فلا نحيا لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام؛ عندها سيتحقق لنا أن نقوم في جدة الحياة الفضلى؛ فكل **موت لأجله هو الحياة بعينها..!!**

ومع أنه كما أسلفنا لم يكن هناك أية إعتراضات في العبور الثاني مثلما كان في العبور الأول غير أنه كانت توجد عدة شروط يجب توافرها حتى يتسنى لهذا الشعب ممارسة هذه الخطوة الفريدة في مرحلة حاسمة من خطة الرب لهم:

فلا عبور دون توحد شعبي: وهذه خطوة مبدئية ضرورية كان ينبغي أن يقوم بها يشوع لذلك توجه بحديثه إلي الرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسي للتأكد من إحساسات وعواطف وإلتزام السبطين والنصف ومدي إستعدادهم لإتمام التعهد الذي قطعوه علي أنفسهم أمامه بالارتحال مع باقي الأسباط (عدد ٣٢: ١ – ٢٨ و٣٣)

والشيء الرائع الملفت للنظر جدا هو أن كل عبور تم علي مر العصور والأزمنة في تاريخ شعب الرب في شتي الأمكنة حقق توحدا قلبيا ونفسيا وروحيا!!

فالعبور يوحد الأفكار والجهود.. والنهضة تؤلف بين القلوب!!

ألم تكن هذه هي الصفة المميزة للكنيسة الأولي إبّان تكوينها وقبيل يوم الخمسين ففي كل حركاتها وسكناتها يرافقها القول «**بنفس واحدة**» حتى عندما قام بطرس ليلقي عظته التاريخية في الإصحاح الثاني من سفـر الأعمـال **وقف الأحد عشر معه** في تـكاتف وإخـاء وتعضيـد (أع ٢: ١ و ١٤)

* **ما أروعها** صورة تلك التي تكون فيه الجماعة كلها وحدة واحدة.

* **ما أمجدها** حالة عندما تصير الطاقات والملكات بجملتها متعاونة معا للعمل لمجد الله..

* **ما أبهاها** مرحلة تلك التي تتوج هاماتها بأكاليل التوحد الزاهية وترفرف فوقها أعلام الإندماج والتآلف رغم تنوع العناصر واختلاف المشارب وتعدد الرؤى!!

* **ما أرقاها** جماعة التي تذوب توحدا كلها في كيان متجانس علي الرغم من تفرد كل منهم عن الآخر؛ مكملا كل منهم رفيقه في درب الحياة والخدمة مثلما فعل السيد نفسه في تلك التوليفة المتناقضة بل والمتنافرة التي إختارها كتلاميذ له؛ فما أبعد الفرق بين نثنائيل الفيلسوف المتأمل وسمعان القانوي الغيور (لاحظ المفارقة الغريبة أنه كان ضد الحكومة الرومانية بينما كان متي جابي الضرائب موظفا عند الرومان) وشتان الحال بين بطرس المتهور المندفع ومتى رجل الأعمال المفكر!!

ومما لا مجال للمناظرة فيه أنه ليس هناك ما يوحد **القلوب** ويؤلف **الأفئدة** مثل الترفع عن كل ذاتية وأنانية؛ والتوجه بكل الإرادة والعزيمة لتحقيق الأهداف النبيلة التي تعود علي الجميع بالنفع والبنيان والوصول إلي الحالة الأسمى المرجوة.!! فلا غيرة بل غيرية؛ ولا أثرة بل إيثار.

وعلينا أن ندرك أن هناك فرق شاسع بين الوحدة والتماثل؛ فالوحدة الروحية تنبع من الداخل أي من القلب؛ أما التماثل فيأتي محصلة من الضغط الأرضي!! كما لا يفوتنا أيضا أنه يوجد فروق هائلة بين الوحدة والتكتل والتحزب!!

كما أن هذه الوحدة لا يمكن أن تتحقق لمجرد أن يقرر كل منا أن يفعل كل شيء بنفس الطريقة؛ وإنما ضمان إنجازها يتوقف علي تبعيتنا لنفس الشخص المجيد - رأس الكنيسة وشفيعها - الذي إحتوت صلاته الرائعة في يوحنا ١٧ علي طلبته الغالية لأجل وحدة شعبه العميقة والعملية (يو ١٧: ١١و ٢١ و ٢٣)

ومع أن جهود يشوع نجحت في إقناع السبطين والنصف؛ إلا أنهم بعد أن تم العبور علي نحو رائع ومذهل؛ عادوا مرة أخري للشرق إلي المراعي الخضراء في جلعاد وباشان التي أعطاهم إياها موسى «**لأنه كانت لهم مواشي كثيرة**» (٣٢: ٢و٤و١٩و٣٣)

* إنهم يمثلون كثيرين من المؤمنين الذين تركت أمامهم أراضي الموعد مفتوحة كما لغيرهم؛ ومع أنهم يغزونها لكنهم لا يبقون فيها!! إذ تشدهم للخلف مصالحهم الذاتية.. وتجذبهم حياتهم السابقة التي ألفوها لا يبتغون مجالات جديدة للمغامرة الروحية التي تكسبهم أبعادا عميقة في تطلع دائم لكل ما هو جديد ومفيد!!

* كما أنهم فئة مستعدة لمواجهة الشعوب السبعة رغم كل سطوتهم وبطشهم وجبروتهم؛ إلا أنهم غير مؤهلين أو مستعدين لترك مغريات العالم - في مواجهة شخصية مع نفوسهم - وهذا بطبيعة الحال يحرمهم من الإستقرار في الحياة المختبئة في المسيح!!

هذه وتلك لابد وأن تعود بنتائج وخيمة عليهم.. وعلي أولادهم وعلي مكانتهم.. وعلي تاريخهم ضمن الشعب المقدس العابر؛ وهاهي بعض هذه المحصلات المرعبة في نهاية واضحة كل الوضوح:

* لقد إستؤصلوا تدريجيا من حياة إسرائيل..!!

* لا نجد بين أسماء القديسين والأبطال الذين تلألأوا كالنجوم في سماء إسرائيل سوى القليلين منهم!!

* لقد تعرضوا أولا ودائما لغزوات أشور واكتسحوا في السبي ولم يعودوا منه!!

يا لها من نتائج رهيبة تحذيرية لكل منا تدعونا أن نبقي في مواقعنا متحدين فاعلين فعالين.. متواصلين مع الجماعة التي صرنا فيها ضمن إختيار إلهي محض أعضاء مُكَملة ومُكمِلة!! وهذا يتطلب منا وعلي الدوام أن نكون في صحة حقيقية؛ وصُبحة صحية؛ ويقظة متفطنة!

<u>فلا عبور دون تبكير:</u> وأول ما يكشف عنه التبكير أنه أحب راحته قليلا.. وأحب عمله كثيرا.. مبينا رغبته الطواعية في تحمل الإهتمام والآلام؛ فالذين يبتغون إنجازات رائعة ونافعة عليهم أن يكونوا «**مبكرين**» بالمعني الشامل والكامل إستيقاظا ويقظة؛ وقد قال أحدهم يوما» أنه لم تشرق عليه الشمس يوما وهو في فراشه؛ بل كان يسبقها دائما في صحوة ويقظة؛ ولا عجب فلقد حقق الرب علي يديه وفي حياته منجزات فاقت العديد من أترابه وبني جنسه..!! وفي هذا الإطار قال أرسطو: «**ينبغي أن تستيقظ مبكرا فلا يجب أن تظل رأسك وقدميك علي مستوي واحد طويلا**»..!!

وكلمة «**بكر**» محورية جدا شملت نقلات حاسمة ومعاني عظيمة قيمة في حياة رجالات الرب العظام مضيئة علي صفحات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يجدر بنا أن نلقي بعض الضوء عليها:

فالتبكير في حياة إبراهيم كان يعني الطاعة والولاء والخضوع مهما كلفه الأمر حتى لو كان تقديم اسحق الابن الذي يحبه (تك ٢٢: ٣)

أما يعقوب فكان **تبكيره** تعبيرا عن مخافة حقيقية وإحساس عميق بالرهبة دفعته إلي وضع أول حجـر أسـاس لبيـت الله علي الأرض (تك٢٨: ١٨)

وهاهو موسى **يبكر** في تحدي الأبطال المغاوير ليقف أمام فرعون مصر بكل جبروته وألوهيته المزعومة قائلا له في جسارة وجرأة «هكذا يقول الرب أطلق شعبي ليعبدوني» (خر ٨: ٢٠)

كذلك جدعون **بكر** ليضغط الجزة فعصر طلا منها ملء قصعة ماء ضامنا بذلك صدق دعوة الرب له لتحرير الشعب من يـد المديانيـين (قض ٦: ٣٨)

أما حَنه **فبكرت** مع جميع المرافقين وقدمت سجودا - ليهوه رب الجنود إذ لم يعد وجهها مغيرا - مكمدا - لإمتلاء كيانها بإستجابة طلبتها (١ صم ١: ١٩)

وداود **يبكر** راكضا إلي اخوته في الميدان وهناك يُحَول الرب دفة حياته تماما حين رأي جليات وسمع تعييراته؛ فقرر علي الفور في بسالة متفردة منازلته بقوة رب الجنود (١صم ١٧: ٢٠)

وأيوب **يبكر** ليقدس أولاده بعد أن دارت أيام الوليمة مُصعِدا محرقات علي عددهم كلهم - وهكذا كان يفعل كل الأيام (أيوب ١: ٥)

أما المجدلية المُنسبِّية حبا فجاءت إلي القبر **باكرا** والظلام باق ليفيض قلبها في محرابه وأمامه تدلها وولها وعشقا طاهرا عفيفا؛ وتحقق لها أكثر جدا مما أرادت أو حتى إفتكرت (يو ٢٠: ١)

ولا يمكن أن نغفل ذكر كيف أن الرب نفسه آن تجسده علي الأرض ويسجل ذلك البشير (مرقس ١: ٣٥ و٣٦) قائلا «وفي الصبح **باكرا جدا** قام وخرج ومضي إلي موضع خلاء وكان يصلي هناك»

إلا أن أمرا بالغ الأهمية يستوقفنا فهناك فرق بين **بَكَرَ** و **بَكّر** فالأولي تعني خرج أول النهار قبل طلوع الشمس؛ أما الثانية فتدل علي أنها مُبالغة في **بَكَرَ** وهي التي ذكرها النص الكتابي ليصف بها الكيفية التي نفذ بها يشوع التكليف الإلهي لإتمام العبور المرتقب كاشفا عما إحتواه قلبه من تصديق كامل.. وثقة تامة في إنجاز وإجتياز هذه المرحلة الحاسمة في حياة الشعب علي الرغم من كل التحديات المرئيات لأن مركز ثقله ليس **ما يراه** إنما **من وعده**!! فمياه الأردن المترامية الثائرة إلي جميع شطوطه هو قادر أن يشقها أو ينشفها أو يجعلها تهرب من أمام العابرين المبكرين!! فهو الصادق الأمين القادر فما نطقت به شفتاه الطاهرة.. تحققه يداه المقتدرة!!

فلا شيء يكشف عن مدي تصديقنا لوعود الرب قدر جديتنا وحرصنا علي أن نكون فيما أعلنه لنا حتى لو كان ما يقوله علي النقيض تماما مما نحياه ونجتاز فيه؛ وعندئذ سيجعلنا نختبر ما يفوق عقولنا وواقعنا

بل وحتى أحلامنا ذاتها.. وما علينا سوي أن نشاهد ونعاين ما يذهلنا فتتوقف كلماتنا وتصمت تعبيراتنا تعجبا وإعجابا!!

كما أن **التبكير** يظهر بما لا يدع مجالا للمناظرة مدي اللهفة والشوق والتطلع إلي تحقيق رغبة عارمة تجتاح النفس وتكتنفها؛ ولا سيما تلك التي تفيض تعلقا بالرب نفسه فهو الجدير وحده دون شريك أو منافس بتعلق الوجدان وكل الكيان بشخصه المبارك تجاوبا مع قولته الشهيرة «**لذاتي مع بني آدم**» (أم ٨: ٣١) وبتجرأ حزقيا الملك فيقول للـرب «**أنت تعلقت بنفسي**» (أش ٣٨: ١٧)

ليس هناك برهان أبلغ وأوضح يُستشف منه عمق تعلقنا بالرب سوي **تبكيرنا** وكيف فاضت مشاعر ونبضات هذه الفئة العاشقة **المبكرة** لتسطر أروع الكلمات - مع أنها غيض من فيض - إلا أننا نجد فيها كافة الجوانب المُشعة البراقة؛ ولنستمع إلي داود وهو يردد في محراب المتدلهين - رغم وجوده في برية يهوذا - "**يا الله إلهي أنت إليك أبكر عطشت إليك نفسي.. يشتاق إليك جسدي.. في أرض ناشفة يابسة بلا ماء**» (مز ٦٣: ١)

أما أشعياء فيكتب عن مدي تلهف أحاسيسه.. وإعتمال لواعجه وجَيَشان عواطفه متوجها بعبارات تفيض شاعرية روحية مقدسة قائلا «**إلي اسمك وإلي ذكرك شهوة النفس.. بنفسي اشتهيتك في الليل أيضا بروحي في داخلي إليك أبتكر**» (٢٦: ٨ و ٩)

وعلي ضوء مثل هذه المقولات التي تفوق كل تصوّفية أو تصورية نتعلم درسا مُلِحا ما أدعانا أن نلتفت إليه.. لنحيا بموجبه؛ ألا وهو إن أردنا أن نكون ضمن هذه الفئة من **المُبكرين** الساعين إلي التقابل مع

المالك عليهم مشاعرهم ووجودهم؛ بأن يكون نهاية يومهم أيضا وليلهم متمحور حول شخصه الحبيب.. **فشهوة النفس في الليل إلي إسمك وإلي ذكرك والروح تبتكر في تشوق.. أكثر من المراقبين** الصبح!! فما ومن نفكر فيه قبيل نومنا ونعاسنا؛ سيكون حتما أول ما نفكر فيه وننشغل به صبيحة اليوم التالي..!!

إن **التبكير** إلي الرب يدخلنا من أوسع الأبواب لتحقيق الوعود غير المرتبطة بالأزمنة والأوقات؛ وإنما هي مقترنة بالتواجد في الحضرة القدوسة باكرا «**فالذين يبكرون إلي يجدونني**» (أم ٨: ١٧)

وإذا أردنا أن نعرف ما يناله أي منا إذا عاش بموجب هذا الوعد الفياض علينا أن نسأل أولئك الذين تكرسوا في بكوريات حياتهم للسيد وتكرست كل بداياتهم مقدمين الرب في كل خطواتهم ومخططاتهم بإعتباره الأول.. والأوحد.. والأهم.. والرأس.. والمتقدم في كل شيء!! وهنا علينا أن نقرّ بأمر خطير للغاية ألا وهو:

لا عبور بدون مسافة: أليس أمرا غريبا أن يقول الرب ليشوع موضحا «**يكون بينكم وبينه** - أي التابوت - **مسافة نحو ألفي ذراع بالقياس.. لا تقربوا منه لكي تعرفوا الطريق الذي تسيرون فيه لأنكم لم تعبروا هذا الطريق من قبل**» (يش ٣: ٤)

للوهلة الأولي علينا أن نلاحظ شيئا يستدرجنا لكي نتعلم أن أساليب القيادة الإلهية متنوعة.. وحتى طرق إرشاده لنا متعددة؛ فلقد كان العنصر الفاعل في قيادتهم حتى هذه اللحظة هو **عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا**» (خر ١٣: ٢١ و ٢٢) وهذا يتناسب تماما مع حقبة

البرية بشمسها الحارقة الشديدة السخونة؛ فإن السحابة القيادية تظللنا **فلا تؤذينا الشمس في النهار.. ولا نخشى من هلاك يفسد في الظهيرة ولا من سهم يطير في النهار** (مز ٩١: ٥ و ٦ و ١٢١: ٦) أما في ليل البرية القارص برودته وظلامه الدامس فكان عمود النار يضيء السبيل.. ويهدي الخطي..!!

ولا نندهش لأنه في فترة لاحقة ترافق فيه أن **سحابة الرب كانت عليهم نهارا في إرتحالهم من المحلة.. وعند إرتحالهم من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت الرب راحل أمامهم ليلتمس لهم منزلا** (عدد ١٠: ٣٣و ٣٤)

أما عند العبور العظيم للأردن فها هو التابوت وحده يتولى القيادة ومن المؤكد أن المدلولات الآتية ستوضح لنا السببية المقنعة لمثل هذا التنوع في أساليب الإرشاد الإلهي والقيادة السماوية:

** فهي تشير إلي حقيقة أن الرب يسوع كان عليه أن يقوم وحده بالعملية الإفتدائية.. ويدوس المعصرة بمفرده دون أن يكون أحد معه ولا ننسي كيف أن بطرس قال له في ليلة العشاء إنه **مستعد أن يذهب معه حتى إلي الموت!! لكن الرب قال له حيث أذهب لا تقدر أنت الآن أن تتبعني.. ولكنك ستتبعني أخيرا»** (يو ١٣: ٣٦ و ٣٨)

وما حدث فعليا هو الهروب غير المتوقع من المِقدام المندفع وسائر التلاميذ؛ وعندما تبعه شاب لابسا إزارا علي عريه؛ فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عريانا (مر ١٤: ٥٠ ـ ٥٢)

ولا شك أن ما يرمي إليه الرب بهذا التقدم للتابوت؛ وهذه التبعية من

الشعب يشير إلي أن النقطة المركزية الصحيحة لقيادة ناجحة لابد وأن تبدأ من الصليب.. من الجلجثة.. فالمرأة الخاطئة التي أتت للرب في بيت سمعان الأبرص يذكر البشير لوقا أنها جاءت إليه يلفها الخجل بعد أن عرتها الخطية من ورائه تحتمي فيه من نفسها وشهواتها ومن نظرات المحيطين بها!! جاءت تختبئ في محبته التي فاضت فيما بعد جروحا شافية علي خشبة اللعنة والقصاص!!

فحيث لا صليب لا تبعية فمن ينكر نفسه هو القادر أن يحمل صليبه كل يوم ويتبع الفادي الكريم.. الخروف المذبوح حيثما ذهب (مت ١٦: ٢٤ و رؤ ١٤: ٤) فالذين ينكرون أنفسهم لا يتحدثون أو يتذمرون من صليب يحملونه!! أما أولئك المشتكون مما يجتازون فيه فهذا دليل قطعي علي عدم إنكارهم لأنفسهم بالمرة!!

نعم إن الرب يسوع المسيح - التابوت رمزا - تقدم كنيسته مجتازا القبر أولا بقوة القيامة المظفرة الساحقة موضحا بذلك أمرا شيقا للغاية وهو **أن كل واحد في رتبته المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه** (١كور ١٥: ٢٠ و٢٣)

هذه معاني تبدو وكأنها مألوفة لدينا مطروقة في أفكارنا وكلماتنا وبطبيعة الحال تعليم منابرنا؛ إلا أنني أريد أن أنوه وبشدة علي أن الذين يُقدِرون عمل الرب الكفاري عنهم؛ ويتشرفون بقيادة الرب الدائمة لحياتهم؛ هم أولئك الذين يُبقون علي المسافة بينهم وبين التابوت!! وماذا يعني ذلك؟؟ إنه يعني الإبقاء علي مكانة الرب الرفيعة. وعظمته المتفردة.. فمع كونه أبانا السماوي لكن هناك أصوليات ومرعيات علينا أن نحرص

عليها كل الحرص؛ وهذا ما يجعلنا لا نعتاد الحضرة الإلهية القدوسة فنستبقي داخلنا نفس الحماسة والإثارة والرهبة!!

بينما كان القس ريتشارد جونز يعظ في إجتماع كبير في ماكينات بوادي «دوفى» ولما كان الاجتماع في الهواء الطلق جلس الخدام علي جانبي المنبر؛ وإتخذ جمهور الحاضرين أمامه شكل نصف دائرة وكان موضوعه في ذلك اليوم «**الذي قدمه كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله**» (رو ٣: ٢٥)

فلما قرأ ريتشارد جونز هذا العدد الكتابي في ذلك اليوم في الحقل وثب الجميع واقفا بتأثير قوة خفية لا تقاوم إحتراما وخجلا وتعبدا!! علي أنهم لم يفعلوا ذلك فقط ثم جلسوا؛ بل ظلوا واقفين حتى نهاية العظة!!

ليست مسافة الآلهة ذات الأبراج العاجية.. وإنما هي مسافة إحترامية توقيرية!!

ليست مسافة إنتفاخية متعالية تكبرية.. وإنما فسحة ألوهية غاية في الوجوبية الاستحقاقية!!

يا ترى هل تصاحب صلواتنا وتعبداتنا هذه المسافة؟ أم أننا نسقط من حساباتنا كل الإعتبارات اللائقة ومنها الألقاب مستخدمين عبارات بعيدة كل البعد عن روح الكتاب بحجة أننا علي حساب النعمة بنخلط علي بعض!! أمال إيه مادام الحجاب قد إنشق فلا داعي للرسميات!! مع أننا عندما نتكلم مع أي مسئول أرضي نحرص علي إنتقاء أعظم الكلمات التي ربما لا يستحقها - ولا نكف عن ترديدها عشان أمورنا تمشي!!

لكن إبراهيم - الخليل - يقول **تراب ورماد شرعت أن أكلم المــولي** (تك ١٨: ٢٧)

والرسول بولس في أخريات أيامه يسطر هذه الكلمات العجيبة **«صادقة هي الكلمة ومستحقه كل قبول أن يسوع المسيح قد جاء إلي العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا»** (١تيم ١: ١٥)

أمــا داود الموصــوف بأنــه **رجل حسب قلب الله** قــال للرب يوما **من أنا يا سيدي الرب.. وما هو بيتي حتــى أوصلتــني إلي هــذا؟** (٢صم ٧: ١٨)

إذا لنحرص علي أن تبقي المسافة ثابتة وواضحة ودائمة مجسدين فيها:

** **روعة** الإلتقاء بالرب نحسها ونلمسها بتوفر هذه المسافة..

** **رهبة** مكان التقابل الإلهي والدخان المصاحب متوقف علي بقاء هذه المسافة!!

** **عظمة** القيادة العلوية بكل تنوعها ومجمل إنجازاتها يتحقق علي نحو معجزي خارق عندما لا تتأثر هذه المسافة لا بتسرعنا أو بتعجلنا ولا بتراجعنا أو تقاعسنا!!

** **بهجة** الإستمرار في تبعية فاعلة متكاملة مضمون تماما بتمسكنا حتى النهاية بوجود مؤثر في جميع نطاقات حياتنا الخفية والظاهرة علي حد سواء.

** **قمة** السلوك القويم المغلف بمخافة قلبية عميقة لا تعرف الإستهانة

بأمور الله.. أو الإستكانة لإنجذابات الجسد!! لا يحسره أو يحصره سوي هذه المسافة الفاصلة بين أعمال الجسد وثمر الروح!!

** **شهوة** قلب الأتقياء الفاهمين المدركين لأهمية دوام المسافة الذي يحفظ لهم إشتعال وجدانهم.. وإمتنانهم للنعمة المتفاضلة وتحديق عيونهم وفيضان مشاعرهم للحاق والوصول إلي المرام المرجوة!!

** **قوة** عزيمة مسعاها المتوقع هو إلي الأمام؛ فلا نظر للخلف ولا رجوع للوراء؛ بل تقدم دؤوب وحيوي نحو التابوت المتحرك أيضا إلي قدام دون أن تضيق المسافة أو تتسع فكل شيء مقنن ومحسوب منذ الخطوة الأولي وحتى لحظة الوصول..!!

** **وفرة** التمني الفعال فشهوة الصديق تمنح حتى في وجود المسافة فقد لا نعطي كل ما نطلب أو نتمنى؛ لكن الأكيد المؤكد هو أننا لن نحرم مما نحتاج بل سننال أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر فإلهنا ما أجوده وما أجمله..!!

وعلي الرغم من حرص الجميع علي أن تكون المسافة محددة وقائمة إلا أن الأمر إستوجب أيضا شرطا آخر لا يقل عنه أهمية وضرورة وهو

لا عبور بدون قداسة: «تقدسوا الآن» فالمقدسون هم الذين يتاح لهم أن يعبروا.. والعبور حياة جهادية رفيعة.. **فالجهاد هو عصب القداسة** ويكفي أن نعلم أن الله يريد من شعبه أن يناضل من أجل قداسة الفكر والنية والقلب وأن نعمل أي شيء يكون في مقدورنا لكي نطيع الله ولقد عرّف البعض **الذل بأنه ترك الجهاد!!**

وفي حقيقة الحال أن لا شيء يجعلنا نحافظ بكل دقة علي المسافة سوي إدراكنا العميق. وفهمنا الدقيق لموضوع القداسة بشقيه؛ أي ما يتعلق بالله القدوس.. وشعبه المقدسين علي ضوء النصوص التي في هذا الخصوص في كل الكتاب «**فنظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين في كل سيرة**» (١بط ١: ١٥ - لاويين ٢٠: ٢٦)

ولكي نكون موضوعيين علينا أن نتساءل في أمانة البحث عن إجابة شافية لهذا الموضوع الشائك المتشابك بفضل تفسيرات واجتهادات ووجهات النظر الطائفية المتعددة دون أن ننحاز لرأي دون آخر مما يفقدنا مصداقيتنا وحياديتنا..!!

يا تري ماذا تعني القداسة؟؟

ماذا قصد يشوع بقوله للشعب تقدسوا..؟؟

والإجابة الشافية الوافية علي مثل هذا السؤال متشعبة الجوانب فلها جانبها اللغوي من حيث مفهوم الكلمة في عدة لغات:

ففي الألمانية معناها **الصحة الكاملة..**

وفي الإنجليزية تعني **الكل كتلة واحدة بدون عيب فيها..**

علي أن البعض لا يمكن أن يجد لها معني أصح من التعبير عنها **بالصحة التامة..!!**

غير أن اللغة اليونانية إستخدمت الكلمة «**هاجيوس**» التي تعني قداسة وقصدت بها إتجاهات ثلاثة توضح ما هي المفاهيم المتضمنة للمنهج التقدسي علي ضوء الفكر الكتابي المتواتر:

أولا: القداسة تعني الإنفراز: أي التخصيص؛ فالمقدس هو الشخص الذي خصص تماما وكلية للرب وعلي هذا المنوال أصبح المسكن (الخيمة والهيكل) مخصصا للرب؛ كما أن سبط لاوي خُصِص للمهام الكهنوتية بكل تفريعاتها.. حتى الأواني المستخدمة في الداخل صارت وقفا تاما علي هذه الاتجاهات فحسب ولا يسمح باستخدامها في أي مجال آخر؛ بل حتى السبت قدس بأكمله كعيد أسبوعي يلتقي فيه المتعبدين بإلههم ليفرحوا أمامه؛ ولم يسمح لهم بأداء أي نوع من الأعمال مهما بلغت ضرورته؛ وبطبيعة الحال لا تقبل العبادة وتغلف بالرضا السماوي ما لم تكن صادرة من شعب مفرز مخصص للرب «**لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك؛ إياك إختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب علي وجه الأرض**» (تث٧: ٦)

والقداسة ليست عملا جماعيا يصدر بقرار قيادي يسري مفعوله علي الجميع؛ إنما هو تصرف شخصي يؤدي في نهاية المطاف إلي تحلي الفرد المؤمن بصفات تفرزه عن سائر كل ما ومن حوله؛ ولا شيء يحثنا ويحرضنا علي الخوض في غمار روعة هذه الحياة المقدسة قدر تذكرنا - نحن مؤمني العهد الجديد - الثمن الغالي الذي دفعه فينا الفادى الكريم "**فلقد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وأرواحكم التي لله ولقد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيدا للناس**» (١كور ٦: ٢٠ و٧: ٢٣) لسان حال كل منا ما أقدرش أعيش من غيرك.. أو بغيرك.. أو لغيرك..!! لأننا خاصة الرب.. وهذا هو حقه الشرعي.. خلقا وإفتداء!

وكلمة **خاص**.. كلمة طريفة فهي تعني أفرز.. خصص لأجل وكانت تستخدم خاصة عن جزء من غنائم المعركة أفرزها الملك المنتصر لنفسه فنتيجة لعمل الفداء المجيد الذي أتمه الرب يسوع المسيح في معركة الصليب الظافرة؛ يصير المسيحي لائقا أن يكون ملكا خاصا لله!!

والجدير بالذكر أن كلمة **تكريس** مشتقة من الأصل العبري NAZAR وتستخدم في دائـرة المُلـك بمعني تـاج (٢مل ١١: ١٢ و مز ٨٩: ٣٩ و مز ١٣٢: ١٨) كما أن إستخدامها فيما يتعلق بالكهنوت فيأتي بمعني إكليل (خروج ٢٩: ٦ و لاويين ٨: ٩)

فالمكرس الحقيقي مَلَكَ روحه.. وضَبَطَ نفسه مُتوِجا إياها في دائرة المشيئة الإلهية طاعة وتخصيصا..!!

والمكرس الحقيقي يكهن في محراب إلهه مُكَلل بالشكينة والمجد السماوي في تعبده..!!

وكما قيل أن تكريس الكل للرب هو إمتياز عظيم والذي يساعدنا علي إدراك هذا الإمتياز هو أن نفهم أنه التعبير عن **محبتنا الشاكرة** علي **محبته الغافرة**.. فنحن لا نصير له بالتكريس؛ بل بالحري نتكرس لشخصه المبارك لأننا له؛ وهذا هو أساس التكريس الحقيقي الذي شعاره الدائم **أن تتم إرادة الله في حياتي لا أكثر.. لا أقل.. بأي ثمن!!**

ثانيا: القداسة تعني الطهارة: ولا ينبغي أن يفوتنا الفروق الهائلة بين العصمة والطهارة؛ فبطبيعة الحال لابد أن يكون المعصوم طاهرا - وهو واحد أوحد - لكن ليس متاحا أن يكون الطاهر - وهم كثرة - معصوما!! فإن كوننا مؤمنين ليس هذا معناه أننا صرنا معصومين ولكن

إذ نسمح للرب أن يسود علينا؛ فسوف يُضعِف ذلك من إغراء الخطية في حياتنا وكما قال الفيلسوف الياباني كاجاوا: **منذ أن عرفت قوة الرب وتعمقت في معرفته وأنا أري قوى الشر تذبل داخلي وقوة البر تقوي وتتعاظم!!**

فالقداسة - بشريا - ليست هي العصمة من الخطية؛ بل هي أضمن حالة يكون فيها الإنسان ضد الوقوع في الخطية؛ لأن النفس تكون في حالة القوة والثبات والرسوخ الكامل..!!

وعلينا في هذا الإطار أن ندرك شيئا هاما أن الطهارة لا تعني فقط التحرر من نقيضها أي الفساد والشر وحتى شبه الشر؛ وإنما كل ما يتعدى ذلك تماما بحيث يستطيع كل منا أن يستخدم عبارة الرسول بولس الشهيرة «كل الأشياء تحل لي» والتي وردت في مراتها الثلاث علي صفحات رسالة كورنثوس الأولي والمعروف أن موضوعها الرئيسي هو **القداسة في المسيح..**

فمع أن **كل الأشياء تحل له** لكن مسعاه الطاهر جعله لا يعيش وفق أهوائه أو رغباته - الطاهرة بطبيعة الحال - وإنما كان يبحث دائما عن تلك الأمور التي <u>**توافق**</u> (١كور ٦: ١٢) مُرددا في كلمات مذهلة «**كما أيضا أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا**» (١كور ١٠: ٣٣)

ومع أن **كل الأشياء تحل له** لكن شغله الشاغل كان يتعلق بكل ما يحقق في النهاية المقصد السامي أي تلك التصرفات والإنجازات التي <u>**تبني**</u> الجماعة (١كور ١٠: ٣٣) فيُشيِّد البنيان عاليا شاهقا وذلك من

خلال هذا الشعار المحبب «**فلنعكف إذا علي ما هو للسلام و ما هو للبنيان بعضنا لبعض**» (رو١٤: ١٩)

ومع أن **كل الأشياء تحل له** لكنه يعلن في جسارة الطاهرين وتحدي المكرسين أنه **لا يتسلط عليه شيء** فلم يستولِ عليه سادة غير الرب. لا عالم.. لا أموال.. لا شيطان.. لا جنس.. لا كراسي أو سلطة لا شهرة ولا بريق زائف.. ولا سوق الأباطيل بكل إبهاراته وإغراءاته!! فلقد وضع علي قلبه أن **يحفظ نفسه طاهرا.. وثيابه بيضاء ناصعة؛ وألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه..!!**

وهذا يذكرني بما قرأته يوما عن الكيفية التي بها يصيدون ذلك الحيوان الصغير «**الثعلب الفضي**» الذي له فراء جميل أبيض ناصع يستعمل في صناعة أرواب القضاة في إنجلترا رمز الصفاء والعدالة وهو غال الثمن جدا..!!

فلقد إكتشف صيادوه أنه شديد الاعتزاز بفروه ويكره أي شيء يلطخه فحينما يخرج من وكره وهو نقر في الصخر؛ ينثر الصيادون كمية من النفاية القذرة حول أوجرته وعندما يقترب ويري الأقذار التي يكرهها لا يدخل مفضلا الموت طاهرا علي الحياة منجسا قذرا لكونه لا يقبل أن يعلق بفرائه أية شائبة..!!

قد تكلفك القداسة والطهارة في الحياة أشياء كثيرة..!! بل قد تكلفك الحياة ذاتها فهل تدفع الثمن..!!؟

ثالثا: القداسة تعني الارتفاع: وعلي الفور تشدنا تلك الرؤيا المباركة التي أحدثت تحولا جوهريا في حياة اشعياء النبي حتى في أسلوب كتابته

بإستحواذ عبارة «**قدوس إسرائيل**» التي تميز سفره وذلك حين رأي السيد جالس علي كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل وسمع السرافيم وهم ينادون ويهتفون «**قدوس. قدوس. قدوس**» رب الجنود مجده ملء كل الأرض (إش ٦: ١-٣)

فكل عُلوّ وسُموّ هو قداسة وهذا ما قصده الرب تماما عندما وعد شعبه بأن **يجعله مستعليا علي سائر الشعوب والأمم في الثناء والاسم والبهاء** (تث ٢٦: ١٩) **وأن يكون مستعليا** (تث ٢٨: ١) **وأن يكون في الإرتفاع فقط وليس في الانحطاط** (تث ٢٨: ١٣)

وما لا يجب علينا أن ننساه بداية هو **أن أعلي منسوب عند أهل العالم يعتبر بمثابة أقل مستوي لدي المؤمن!! لأنه إن أحببنا الذين يحبوننا فأي فضل لنا فالعشارين أيضا يفعلون ذلك..** وينبغي أن يزيد برنا علي الكتبة والفريسيين (مت ٦: ٤٨ و مت ٥: ٢٠)

أما أولئك الذين سمت حياتهم وإرتفعت في قداسة حقة نجد أن سجلات تأريخاتهم دُونت مرتبطة بكلمة مفتاحية كشفت مكنونات أعماقهم وخصوصيات دواخلهم..!! إنها كلمة (أَبَيَ) التي لمعت وبرقت في قراراتهم وتقديراتهم ومقدراتهم!! رافضين وبشدة - وهذا هو معني الكلمة أن تنحدر روحانياتهم.. أو تنحط مُثلهم تحت أي مسمي أو ضغوط أو إغراءات لاسيما في تلك الدوائر الثلاث وهي **شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة..!!**

ولقد واجهت الأولي **شهوة الجسد** هذا الفتي الغض الذي إنتزع من أحضان أبيه وبيع كعبد.. وإئتمنه سيده علي كل ما في بيته؛ لكنه فوجئ

بأنه يقبع في جُحر إمرأة أخدع من الحية!! وأشرس من الشهوة!! لها قدرة هائلة علي تهيئة المناخ لتنال ما تريد شفتاها عسلا وحنكها أنعم من الزيت (أم ٥: ٢)

لكنه «أبي» أن يضطجع معها..!! **فإرادة الله قداستنا** (تك ٣٩: ٨ و ١ تس ٤: ٣) وفي سُمُوٍّ أخلاقي ردد كلماته الخالدة **كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلي الله»** مقدما دروسا هامة لكل من يتطلع إلي مثل هذه النصرة المؤكدة:

** إدراكه لحقيقة مركزه كأحد قديسي العلي.

** عدم تفكيره مسبقا في النجاسة (الكتب الصفراء.. الصور الخليعة.. التخيل الشهواني..!!)

** فداحة الخطية بكونها موجهة ضد الله شخصيا..

** عظمة الإله الذي ينتمي إليه؛ وليس خوفا من الفضيحة.. أو خشية النتائج المترتبة..!!

** لم يذعن لحظة مفكرا في مصلحته الشخصية - أكل العيش - كما يقول س. لويس «إن الإنسان الذي يستسلم للغواية في ظرف ٥ دقائق يخفي عليه ببساطة ما سوف يكون عليه الأمر بعد ساعة من الزمن»!!

** لم يزدر بيوم الأمور الصغيرة فمدمن الخمر والسيجارة بدأها برشفة من كأس.!! أو نفس من سيجارة.! حتى محترفي الجنس انجذبوا بسقطة اغرائية جرفتهم إلي أحضان المرأة الأجنبية الفتاك (أم ٧: ٥ - ٢٣) **والشيء الرهيب فعلا هو أن إبليس يسهل ارتكاب الخطية لكنه يصعب جدا إمكانية حدوث التوبة..!!**

أما **شهوة العيون** فقد واجهت النبي - أليشع - الذي بعدما أجري الرب علي يديه معجزة تطهير وإبراء **نعمان السرياني** الذي رجع لحمه كلحم صبي صغير؛ محققا بذلك هدفا غاليا يثبت أن نعمة الله ليست وقفا علي الشعب العبراني المختار فحسب؛ بل هي لكل من يؤمن بقدرة الإله يهوه ويخضع لكافة متطلبات السماء فينال الشفاء في الحال..!!

ومن فرط فرحته الغامرة أراد **نعمان السرياني** أن يكافئ النبي مقدما له مما جلبه معه من بلاد آرام قائلا له: «خذ بركة من عبدك»! بعد أن أشاد بعظمة إله إسرائيل وأن **ليس غيره إله في كل الأرض**؛ إلا أن نزاهة وشموخ وعفة نفس أليشع ترافقت مع كلماته **حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه أني لا آخذ** ولما ازداد إلحاح القائد - جبار البأس - لكنه توقف لأن النبي «أبي» (٢مل ٥: ١- ١٩) **لو أخذ أليشع من نعمان لأفسد بذلك مجانية عطاء النعمة الإلهية موصدا الطريق أمام غير القادرين علي المنح؛ فيلحق به ما حدث لجيحزي الذي أخذ وطمر..!!**

ويبقي أمامنا ثالث هذه الدوائر وهو **تعظم المعيشة** والذي يعنى بحسب الترجمة «**ثقة الإنسان في موارده وثرواته.. وفي إستقرار الأمور الأرضية**» وقد حقق في هذا الإطار ذاك الذي تهذب بكل حكمة المصريين.. المقتدر في الأقوال والأفعال؛ ترفعا فاق كل وصف والمتمثل في قراره التخلي عن عرش أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ حين «أبي» **أن يدعي ابن ابنة فرعون مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله علي أن يكون له تمتع وقتي بالخطية حاسبا عار المسيح غنى أعظم**

من كل خزائن مصر لأنه كان ينظر إلي المجازاة» (عب ١١: ٢٤)

وقف «جون كرينز» ذات يوم علي مفترق الطرق وقد أضحي قلبه نهبا لعاطفتين متصارعتين؛ لقد دعي وهو في الأربعين من عمره ليكون عميدا لجامعة «أدنبره» ودعي في الوقت نفسه ليكون راعيا لكنيسة قروية!! وشتان ما بين المركزين في نظر العالم والمجتمع البشري؛ لكن «جون كرينز» «**أبي**» أن يخضع للتجربة فرفض المنصب الكبير وقبل رعاية الكنيسة القروية **حاسبا عار المسيح غني أعظم** من كل مجد أرضي..!!

إن رجال ونساء الإيمان العظام قد عاشوا **زمن المستقبل** وبالتالي إستطاعوا أن يعيشوا في قداسة وأن ينتصروا علي تجارب العالم والجسد وسائر التحديات الأخرى التي واجهتهم ويكفي أن «**العالم لم يكن مستحقا لهم**» (عب ١١: ٣٨)

ضمانات جوهوية

هل يا تري توقفنا يوما لنسأل ما هو الهدف من وراء كل عبور؟ أو أي نقلة روحية جديدة.! أو مرحلة متميزة أجرتها النعمة الإلهية في حياتنا بقوة الروح القدس مثل الحصول علي إختبار خاص.. أو نوال موهبة أحدثت فروقا ملحوظة في دوائر خدمتنا ومشاركتنا؟؟!

ودون استغراق في تجهيز إجابات مقنعة سيجيب البعض بالآتي:

* **طبعا لأجل تقدمنا الدائم.. ونضوجنا المستمر..**

* **وآخرون يقولون لكي تتحقق خطط وأهداف الله في حياتنا..**

* **وفئة ثالثة لا تتردد في إعلان رأيها الذي يتضمن إنه إثبات لصدق مواعيد الله لشعبه..**

وهذه كلها إجابات رائعة ومشجعة؛ لكن الكتاب المقدس وفي سفر يشوع الذي نحن بصدده يعلن قمة هذه الأسباب مجتمعة ألا وهي «**بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم**» (يش ٣: ٥)

** **فالله الحي في وسطكم..** هذا ما ينبغي أن تتمخض عنه كل نهضة روحية فاعلة؛ بل إنه التأكيد الوحيد علي أن ما جري فيها ليس من صنع الأسماء اللامعة لخدام الكلمة والمرنمين المشاهير والذين نضفي عليهم ألقابا تستدرجهم إلي فخاخ العدو الشائكة!! فما الانتعاش الروحي سوي تأصيل وإعلان حياة الله في شعبه بإحيائه إياهم محققا تطلع

قديسيه المتمثل في الطلبة الغالية القائلة «**ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك**» (مز ٨٥: ٦)

** **الله الحي في وسطكم**.. إنه الهدف الأدعى أن نتمسك به ونحرص عليه؛ فعندما تفتقدنا النعمة الإلهية **ستخلص النفوس** وبينما تسري فينا القوة الربانية **ستشفي الأجساد**.. ويوم تحتوينا الرعاية السماوية **ستملأ الاحتياجات..!!**

** **الله الحي في وسطكم**.. هذا هو الإعلان الذي يريد الرب أن يثبته في أسماع وقلوب أولئك الذي يأتمنهم علي عمله ويستخدمهم لمجده؛ فمنذ مطالع التعامل مع موسى قال له «**أنا إله إبراهيم واسحق ويعقوب**» (خر ٣: ٦و ١٦ و ٤: ٥) وأنه **إله أحياء وليس إله أموات** (من ٢٢: ٣٢)

** **الله الحي في وسطكم**.. ما أكثر المرات التي أعلن فيها الرب عن ذاته قائلا «**حيّ أنا فتملأ كل الأرض**» (عدد ١٤: ٢١) «**حي أنا يقول الرب**» (أش ٤٩: ١٨) «**حي أنا إلي الأبد**» (تث ٣٢: ٤٠) «**حي أنا إن قسمي الذي أقسمت**» (حز١٧: ١٩) «**حي أنا رب الجنود**» (صف ٢: ٩) ملاحظين أن هذه كلها تشمل إعلانا فياضا عن **وجوده.. وجوده وقدرته**.. كما عن **عهوده.. وأمانته.. وحمايته..**

** **الله الحي في وسطكم**.. وهي قضية حساسة وذات أهمية رفيعة لأنها تحدد نوعية تفكير المؤمن في إلهه؛ فإذا أجابك أي مؤمن عما يفكر به عن شخص الله لتمكنت ببساطة من تحديد نوعية مستقبله الروحي.. فلو كان إلهه حيا فسيتحدى كل شيء مرددا هذا الشعار الذي هو من الروعة

بمكان في حياة الأحياء الظافرين «**حيّ هو الرب الذي أنا واقف أمامه**» أما إذا كان إلهه ميتا أو متغافلا أو متواريا!! أو أصبح جزءً من تاريخ عفا عليه الزمن - **وكل ما يمر عليه الزمن يصير موضة قديمة** - فسيكون لسان حاله «**إن كان الرب معنا** - في وسطنا - **فلماذا أصابتنا كل هذه الأمور!! وأين هي كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا**»؟؟ (قض ٦: ١٣)

ولا يعوزنا الجهد لنكتشف الفروق الهائلة بين مرحلتين إجتاز فيهما التلاميذ وسائر المحيطين القريبين من السيد نفسه؛ فالبون شاسع قبل قيامة الفادى المظفرة تلك الفترة التي إتسمت بمواكبة الخوف والإنغلاق والعبوسة واليأس.. والشكوك والضياع وقد شملت الجميع دون إستثناء غير أن الحال تغير تماما بعد القيامة فالأبواب المغلقة المقفلة إنفتحت والدموع المتهاطلة كفكفت!! وبالإجمال إزدانت الحياة بالجرأة والفرحة والقوة والحياة والشهادة والتوحد والإنتظار لنوال موعد الآب!!

فالكنيسة التي إلهها حيّ تشع أنوارها.. وتتسع خطواتها؛ أما الجماعة التي إلهها ميت فيخبو بريقها.. وتضمر عضلاتها.. وتتوقف تحركاتها! وتبقي قابعة خلف جدران الخوف وكأنها حفرت قبرها بيدها.!!

وبما أن التابوت يمثل هذه الحضرة الحية لإله متواجد ومتداخل وفعال وفاعل؛ لذا يتضح لنا من خلال محتوياته أبعاد هذه الحياة الإلهية المعلنة والمبرهنة طوال فترة العبور المحققة والمُثبِتة «**إن الله الحي وسطكم**»

في دير وستمنستر في لندن يوجد تمثال جميل للمؤلف الموسيقي «هاندل» وهو جالس أمام الأرغن وبيده ورقة موسيقي مكتوب بها

«**قد علمت أن وليّ حيّ**» (أي ١٩: ٢٥) ويقال أنه قبل موته طلب قراءة مزمور ٩١ **الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت.. لأنه تعلق بي أنجيه.. أرفعه لأنه عرف اسمي**؛ ثم طلب أن يقرأ له الإصحاح ١٥ من رسالة كورنثوس الأولي وكانت آخر كلماته هي أيها الرب يسوع إقبل روحي هبني أن أموت وأقوم معك..!!

أولي محتويات التابوت هي **العصا** وعليه فإن **الله الحي في وسطكم بقيادته** فالعبور لا يمكن أن يبدأ وأن يستمر حتى النهاية ونحن تحت قيادة أيا من كان لا موسى.. ولا يشوع.. ولا أي أحد سوي **الله الحي** نفسه؛ وهذا درس أولي ومحوري كان علي موسى أن يتلقنه ويتقنه منذ الوهلة الأولي فلقد سأله الرب **ما هذه في يدك؟؟** ولم تكن سوى عصا لا تفرق كثيرا عن مثيلاتها المتناثرة هنا وهناك!! ربما تعجب موسى عندما أمره الرب بأن يطرحها والذي قد يعني بعضا من أفكار قد تميط اللثام عن هذا المطلب الغريب!!

* **إطرحها** حتى لا يكون لديك ما تدافع به عن نفسك أو عن الرعية

* **إطرحها** لتكون فارغ اليدين فأهبك من لدني ما تحتاج.

* **إطرحها** فإنني أستخدم المُفرّغين من الأشياء المنظورة فأوان رعاية الغنم قد إنتهي؛ وفي إنتظارك نقلة جديدة مباركة!!

* **إطرحها** لأعلِمك وأعَلِمَك أعلي ما يمكن أن يواجهك في هذه الإرسالية سيكون عند قدميك.. لقد تحولت العصا إلي حية وهي تمثل الجزء الأعلى في التاج الفرعوني؛ ولما خاف وحاول الهروب أمره الرب أن يمسك ذنبها مسيطرا عليها بعد أن أكلت كل حيات السحرة!! الغريب هنا أن إرسالية

الرب له كان عليه أن يبدأها في نفس المكان الذي هرب منه - وهو قصر فرعون - الذي ربما ترك في نفسه أثرا بليغا وهو ما دفعه للهرب أمام الحية الخشبية المتحوية!!

* **إطرحها** مطمئنا فلن تفقدها فسأعيدها إليك مرة أخري!!

* **إطرحها** فإني سأستخدمها - ما بين يديك - مهما كانت وجهة نظرك أنها بلا قيمة لا تزيد عن مِنساس البقر الذي لشمجرة.. ومقلاع داود.. ووجبة الغلام الخمسة أرغفة.. وفلسي الأرملة.. وإبرة طابيثا!!

* فما بين يديك ينبغي أن يكتسب مهارات جديدة.. ويؤدي مهام متفردة؛ فعصاة رعاية الأغنام آن لها أن تتسع مجالاتها فتكون واسطة التخليص لشعبي.. وتأديب مصر.. وشق البحر.. وضرب الصخرة!!

كل هذه وغيرها لا يمكن أن تتم أو تنجز إلا من خلال قيادة الرب نفسه؛ لذا تحولت هذه العصا التي أطلق عليها أنها **عصا موسى** (خر٩: ٢٣ و ١٠: ١٣) وأحيانا سميت **عصا هرون** (خر٧: ١٢) إلا أنها في النهاية لقبت بأنها **عصا الله** (خر١٧: ٩) إنها عصا القيادة.. عصا المرشالية السماوية..!!

الله حي في وسطكم بكلمتـــه.. لوحي الشريعة وهي المحتوي الثاني الموضوع داخل التابوت؛ ومن الروعة بمكان أن نلاحظ أنه عقب أمر يشوع للشعب أن يتقدسوا فإنه دعاهم ليسمعوا كلمة الرب (يش٣: ٥و٩) وهو ما يتوافق تمامـا مع مـا جـاء في (يو١٧: ١٧) تلـك الصـلاة الشفاعـية المقتـدرة والتـي تلتهـا ورددتها شفـتا القـدوس قائلـة «**قدسهـم في حقك كلامك هو حق**» (يو١٧: ١٧)

فلا شيء يشهد ويقرر عما قد وصلنا إليه من قداسة سوي كلمة الله الكاشفة الفاحصة التي هي **أمضي من كل سيف ذي حدين** ولا شيء يُعَمِق ويُعَزز حياتنا المقدسة إلا هذه الكلمة لكونها **روح وحياة** ففي كل جزئية من كلمته تفيض حياة..!!

ولما كانت الكلمة بحسب المفهوم الكتابي هي نوعان **منطوقة ومتجسدة** علينا إذا أن نخلص القول موضحين أن كل عبور حقيقي في حياتنا يعني بكل بساطة «**تجسد الكلمة المنطوقة**» بحيث تصير واقعنا الملموس والمحسوس بل والمرئي أيضا..!.

والشخصية الكتابية في هذا المضمار هي يعقوب الذي إتبع في تعاملاته مع السماء ونواله المواعيد أن يُذكِر الرب بمواعيده مستخدما عبارته الشهيرة «**أنت قلت إني أحسن إليك**» والتي وردت في الإنجليزية بلهجة التأكيد I WILL DO THE GOOD SURELY وفي النهاية يعترف بأمانة إلهه معه قائلا في إمتنان وعرفان بالجميل «**صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعتها إلي عبدك.. بعصاي قد عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين**» (تك ٣٢: ٩ و١٠ و١٢)

ويدانيه بطرس بعبارته الشهيرة التي قالها للرب «**علي كلمتك ألقي الشبكة**» والتي علي إثرها حدثت المعجزة فإعترت الجميع دهشة علي صيد السمك الذي أخذوه (لو ٥: ٩)

أما يشوع فأعلن في نهاية حياته وعلي مسمع من جميع الشعب أنه **لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم. لم تسقط منه كلمة واحدة** (يش ٢٣: ١٤)

فما أكثر ما سمعنا.. وما أندر ما إختبرنا!! وهذه هي قمة المأساة التي تعاني منها كنيسة العلي في وقتنا الراهن الرهين لمشغوليات الحياة وإهتمامات العالم الحاضر؛ مع أننا بذلك نفوت علي أنفسنا أمجاد عظمي إكتفينا بأنها تلهث وراءنا وكأنها تستجدينا محاولة اللحاق بنا!! وكل ما نفعله ردا علي ذلك هو المشاهدة فقط دون رغبة في المعايشة!!

ولا يسعنا هنا أن نذكر أن لوحي الشريعة الموضوعان داخل التابوت نقشت حروفها وكلماتها بإصبع الله شخصيا والذي قصد منه إظهار الأهمية الخاصة التي تحتويها هذه الوصايا التي أوليت كل هذا القدر من الإهتمام من قِبل مصدرها الله القدير..

ولعلنا جميعا بُهِرنا من الكيفية التي بها تم تصوير هذا النقش في أحد الأفلام الدينية فشعرنا بالرهبة والإجلال مما يستوجب علينا أن نتعامل مع سائر أجزاء الوحي الإلهي بكل ما أوتينا من خشية وتقدير فهي وإن كانت دونت **بإصبع الله**؛ إلا أنها في ذات الوقت **أنفاس الله** التي تسري في كياننا حياة متعجبين دائما من كلام النعمة الخارج من فم إلهنا المتكلم إلينا وقد وصفها بنفسه قائلا عنها «**وهـي حياتكـم**» (تث ٣٢: ٤٧) فالكلمة إذا ليست عبارة عن حروف تكون عبارات وإنما هي **كائن حي!!** يمتد مفعولها زمنا وأبدا فهي باقية إلي الأبد (١بط ١: ٢٣)

دعي المبشر سبرجون للتبشير في قصر البللور بلندن في قاعة فسيحة؛ وقبل الموعد أراد أن يختبر قوة صوته في تلك القاعة ومن أعلي المنصة قرأ بصوت عال قال هذا العدد «**صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلي العالم ليخلص الخطاة**» ثم أعاد القراءة بصوت منخفض..

وبعد ٢٥ سنة دعي سبرجون لزيارة مريض فسأله: هل أنت مستعد لمواجهة الموت؟ أجاب نعم..! لقد كنت أقوم ببعض الإصلاحات بقصر البللور وفجأة سمعت صوتا بدا مقبلا من السماء يقول **صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول** فتأثرت بهذه الكلمة بقوة حتى أني سلمت حياتي للرب في نفس اليوم..!!

الله حي في وسطكم بعنايته والمفيد أن نسطره في هذا المجال هو أن كلمة عناية في أصلها اللاتيني تأتي من كلمتين بمعني: **رؤية الله المسبقة وهي تشمل لا مجرد المعرفة السابقة فحسب؛ بل أيضا العمل المسبق والترتيب لكل الظروف والمواقف لإتمام مقاصده؛** وتتمثل هذه العناية الفائقة في قسط المن الممتلئ والباقي دون فساد محفوظا للأجيال التالية لكي يروا **الخبز الذي أطعمتكم في البرية حين أخرجتكم من أرض مصر** (خروج ١٦: ٣٢)

إلا أن المثير في الموضوع هو ما دار بين بني إسرائيل عندما رأوا المن فقالوا بعضهم لبعض من هو؟ لأنهم لم يعرفوا ما هو فقال موسى **هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا هذا هو الشيء الذي أمر به الرب** (خر ١٦: ١٦) أما من جهة الغرابة والإثارة في هذا الصدد فهو صيغة التساؤل ذاتها!؟ فيا تري ما الذي دفعهم لإستخدام صيغة **من هو؟** والتي تطلق علي العاقل بدلا من **ما هو**؟؟ والتي يُعَرَّف بها الجماد!!

هل نعتبره منطوقا نبويا من قِبلهم؟ وكأنهم يعنون أن هذا المن ما هو إلا رمز مجسد لشخص مجيد ممجد سيأتي في ملء الزمان ليعلن في إحدى حواراته الجدلية الساخنة مع أحفادهم اللاحقين **أن موسى**

لم يعطهم المن كما يزعمون ويفتخرون بإنتمائهم إليه وإنما **الآب السماوي** هو الذي منحه إياهم!! وعلي الرغم من أنهم **أكلوا هذا المن في البرية** لكنهم ماتوا

أما هو - تبارك اسمه - فإنه **المن الحقيقي.. الخبز الحي.. خبز الله النازل من السماء الواهب حياة للعالم.. كل من يقبل إليه لا يجوع** (يو ٦: ٣٢- ٣٥)

إلا أن مـا يؤسف له حقا أن هذه اللهفة والإستغراب التي واكبت وفاء السماء بإرسالها **المن** الذي ظهر بعد إرتفاع سقيط الندي فـإذا علي وجــه البرية شيء دقيق مثل قشور.. دقيــق كالجليـد عــلي الأرض (خر١٦: ١٣و١٤) سرعان ما اعتراها الكثير المتدرج من الإنحرافات والتجاوزات التطبيقية تجاه هذه العطية السماوية!!

** فمع أن الأمر الإلهي إختص كل واحد منهم بأخذ «**عمر**» للرأس علي عدد النفوس الذين في الخيمة إلا أنهم التقطوا بين **مكثر ومقلل** دون أن يراعي كل واحد الكمية المتاحة للأخذ وهي «**عــلي حسب أكلــه**» (خر ١٦: ١٥- ١٨)

** لقد كان التحذير واضحا للجميع بأن لا يبقي أحد منه شيئا للصباح؛ لكنهم لم يسمعوا لموسى فأبقي منه أناس إلي الصباح فتولد فيه دود وأنتن فسخط عليهم موسى فابتدأوا يلتقطونه صباحا فصباح (خر١٦: ١٧- ٢٠)

** كان من الضرورة بمكان أن الملتقط للمن عليه أن يستيقظ باكرا ليأخذ ما يحتاجه قبل ان تحمي الشمس التي كان من تأثيرها ذوبان المن الذي وصف بأنه **كرقاق بعسل** (خر ١٦: ٢١، ٣١)

** كان عليهم في اليوم السادس أن يلتقطوا ما يحتاجونه ليومين لأن السبت **عطلة مقدسة للرب** وتجاوب الكثيرين وإستهان البعض وخرجوا ليلتقطوا في اليوم السابع ولم يجدوا مما جعل الرب بنفسه هذه المرة يقول لموسى **«إلي متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعى»** (خر ١٦: ٢٣ - ٢٨)

** الواقع أن الذي أطلق لقب **«المن»** هو بني إسرائيل أنفسهم فبعدما تساءلوا **من هذا؟** ربما إحساسا منهم بأنه منة وعطية إلهية وإمتنانا لهذه العناية الربانية!!

** إن هذا **المن** كانوا يستخدمونه إستخدامات عِدة مع كونه لا يزيد شكلا وحجما عما وصفه الكتاب بأنه **كبزر الكزبرة أبيض.. ومنظره كمنظر المقل** (خر١٦: ٣١ وعدد ١١: ٧) إلا أنه كان يطبخ في القدور (خر ١٦: ٢٣ وعدد ١١: ٨) وأيضا يطحن بالرحى.. ويدق في الهاون ويعملونه ملات.. وكان طعمه كطعم رقائق بزيت (عدد ١١: ٨) وفي إستدراج واحد ملفت للنظر؛ فقد يكون ما يعطينا الرب إياه من خلال أعمال عنايته ما يبدو قليلا أو صغيرا لكنه يحتوي علي العديد من جوانب الإستفادة الشاملة بتنوع رائع ومفيد!! فبالرغم من أنه أكل واحد لكنه تناسب مع كافة الأعمار والإحتياجات المطلوبة لنموهم الطبيعي.!

** غير أن الحال لم يدم طويلا في التعجب والإعجاب إذ سرعان ما تبدلت لغة الكلام؛ فبدلا من لغة الإمتنان تدافعت عبارات الإستهجان بقيادة **اللفيف** الذي في وسطهم حين **اشتهي شهوة** فعاد بنوا إسرائيل وبكوا وقالوا: **«الآن يبست أنفسنا.. ليس شيء غير أن أعيننا إلي هذا المن»** (عدد ١١: ٤- ٦)

إنه الجسد الذي لا يقبل ما لروح الله.. يرفض المن السماوي ويشتهي السمك الذي أكله في مصر مجانا.. ويرغب في القثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم!! علي الرغم من العبودية والإذلال وصغر النفس التي عاناها منحنيا تحت ثقل وطأتها!!

ومن ثوابت الأمور أن من لا يشبعه الرب ويملأ كيانه بالقناعة بكل ما هو نادر وفائق؛ لا يمكن أن ترضيه إختيارات السماء؛ وإنما سيصب كل إهتماماته ونزعاته في كل ما هو شائع ومألوف وأرضي ورخيص!! وقال أحدهم يوما «**كلما ابتعد المخ (أو الروح) عن الأمعاء إزداد الجسد سُمُوا وعُلوا**»

** وبطبيعة الحال إذا ترك أي مؤمن مهما بلغت إختباراته وعمقت تعاملات الرب معه لقلبه وفكره وكلماته العنان التذمري؛ فإنه لن يتوقف عند حد وإنما سيتدنى إلي ما هو أسوأ وأردأ؛ وهذا فعلا ما نجده يتردد علي لسان شعب الرب عندما تكلموا علي موسى قائلين **لماذا أصعدتنا من مصر لنموت في البرية.. لأنه لا خبز ولا ماء.. وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف!!** فالجسد يتحول من الشغف إلي السخف!! من الرضا إلي التذمر.. من التقبل إلي الإعتراض!!

لقد أراد الرب أن يذكرهم بأعمال عنايته لا **العامة** المَعنِي بها كل الخليقة فهو الذي **يفتح يده فيشبع خيرا** (مز١٠٤: ٢٨). ولا **الخاصة** والمراد بها الإنسان المخلوق علي صورته ومثاله وتشمل حتى أولئك الذين لا يؤمنون به ولا بوجوده!! فإنه تبارك إسم مجده يوفر لهم كافة إحتياجاتهم!! وإنما تلك العناية **الأخص** بشعبه المفتدي والتي تختلف

كليا وجزئيا عن الجميع؛ وبناء عليه ينبغي ألا يفوتهم أن يعتبروا لهذه التعاملات الشديدة الخصوصية فلا ينزلقوا بتذمراتهم الجامحة المتطرفة التي غالبا ما يدفعون ثمنها غاليا!!

تلك العناية الأخص التي يمثلها قسط المن في التابوت والتي تشمل كل مناحي الحياة سواء التي تتعلق بما يدور في فَلك دعوته وخطته وخدمته؛ أو حتى ما يمس الأمور الحياتية العادية اليومية؛ هذه وغيرها تستحثنا علي ألا ننسى حسنات الرب بل وكل ما في باطننا ليبارك اسمه القدوس؛ فلو تلفتنا بصدق متعمقين في الكيفيات التي ينجز بها السيد تعاملاته معنا لأقررنا وبملء الفم أنها معجزية إعجازية يحتار معها العقل البشري لكنه يسلم تماما لقدرة الإله الحيّ.. وأحلي ما في الحياة الروحية أنك «تتفرج» في مشاهدة رائعة ممتعة علي ما يفعله الرب معك!!

فيا تري ماذا كان الوقع علي إيليا صباحا ومساء وهو يري الغربان - الخطافة - وهي تحمل إليه الخبز واللحم.!! أو مشاهدته كوارا من دقيق لا يفرغ.. وكوزا من زيت لا ينقص!! في بيت أرملة صرفة صيدا دون أن تفوته وجبة واحدة (١ مل ١٧: ٦و١٤)

وفي واحدة من أغرب الحوارات التي دارت بين الله وموسى وقد إختصت بأكل اللحم ووعد الرب بإطعامهم لا يوما ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوما بل شهرا من الزمان؛ عندئذ قال موسى - متهكما - ست مائة ألف ماش هذا الشعب الذي أنا في وسطه وأنت قد قلت أعطيهم لحما ليأكلوا!! أيُذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم؟؟ أم يُجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم؟؟!! فما كان إلا أنه تلقي الرد الحاسم **هل تقصر يد الرب؟! الآن تري أيوافيك كلامي أم لا؟!** (عدد١١: ١٩-٢١)

وحدث أن الله لكي يتمم وعده لم يطلب من شعبه أن يصطاد السلوى التي حملتها الريح إلي المحلة فغطتها؛ فكم طائر سلوى كان سيصطاده الشعب الإسرائيلي لو خرجوا لصيده؟ وماذا عن أولئك الذين لا يعرفون ولا يقدرون علي الصيد؟؟!! لكن عنايته الفائقة جعلت اللحم في متناول يد الجميع دون بذل أي جهد يذكر سوى أن يأخذ كل منهم ما يريده للأكل!!

وهكذا دواليك ما يتعلق بأمر ملبسهم إذ يقول الرب لهم مذكرا **ثيابك لم تبل.. ورجلك لم تتورم.. هذه الأربعين سنة** (تث ٨: ٤) كيف إستدامت هذه الثياب بحيث تناسبت مع الأعمار والأجسام والأزمان دون أن تتخرق أو تتهرأ أو ينتهي أوان إستخدامها؟! يا لها من عناية..!! بل يا لها من معجزة..!!

وفي تأكيد حاسم لهذه العناية المتفردة تطرق حديث السيد في خطاب العرش لهذا الموضوع الحيوي؛ فليس علي رعيته أن **تهتم** بما تأكل.. أو بما تشرب.. ولا حتى بما تلبس أليست الحياة أفضل من الطعام.. والجسد أفضل من اللباس!! فمن منكم إذا **إهتم** يقدر أن يزيد علي قامته ذراعا واحدة.. فلا **تهتموا** بما للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه عالمين أن «**أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلي هذه كلها**» (مت٦: ٢٥- ٣٤)

وكمحصلة حتمية ملموسة في دوائر حياتنا فإن هذه الإهتمامات تسبب لنا قلقا بالغا؛ والغريب أن كلمة قلق في اللغة اليونانية تعني **تشتيت الانتباه** وهي نفس الكلمة المترجمة «**لا تهتموا**» والتي وردت ٣ مرات في النص أعلاه وفي ١١٠ أية تحدث الرب ١٠ مرات عن القلق وفي إحدى تعريفات القاموس لكلمة القلق «**إنه شعور مؤلم بعدم راحة في الذهن**

بخصوص مشكلة وشيكة الحدوث أو سابقة الحدوث»!! وقال أحدهم بإختصار «**إن القلق هو الإيمان بالشيطان!! كما أن القلق مثل الكرسي الهزاز يجعلك تفعل شيئا لكنه لا يأخذك إلي أي مكان!!**

لقد سبب هذا القلق سهادا مصحوبا بصداع وهم عظيم لأحد المؤمنين بسبب إنشغاله المفرط في كيفية تصريف أمور حياته وتدبير إحتياجاته فما أن بزغ الفجر وبدأ الصباح ينسج خيوطه الذهبية في الأفق حتى راح يتطلع من نافذته فرأي البحر أمامه وقد تجمد ماؤه وطائر النورس يحوم حول الماء المتجمد لعله أن يجد ما يطعمه وصغاره المنتظرين إياه دون جدوى!! وما هي لحظات حتى قدم شخص يدحرج برميلا مليئا بما فاض عن نزلاء الفندق من الكسر؛ فأخذ يلقي بها للطيور التي تجمعت في ضجيج ينم عن الفرح والسرور!! لقد تعلمت هذه الكائنات أن هناك عناية إلهية تعمل علي سد جوعها!! أما كيف؟ ومتى ولماذا؟ فهي لا تعرف فكل ما تعرفه أنه في الوقت المناسب يأتيها طعامها؟ كان هذا المشهد كافيا لأن يستعيد صاحبنا القَلِق سلامه واطمئنانه حين ترامت إلي فكره كلمات الرب «**أنتم أفضل من عصافير كثيرة**»!!

الله الحي في وسطكم برحمتـــه: وهذا ما يرمز إليه غطاء التابوت THE MERCY SEAT كرسي الرحمة؛ ويقال أن الرحمة ليس معناها العطف علي من هم في ضيقة فحسب.. ولا حتى مجرد الشفقة العادية ولكن معناها هو **وضع الإنسان نفسه في المكان عينه الذي يقف فيه الغير ليري الأمور بعينيه ويحس بإحساسه ويفكر بعقله!!**

فالرحمة إذا ليست مجرد عاطفة أو إنفعال؛ لكن الرحمة معناها

أن يحس الإنسان كأنه مشترك فعلا في ظروف أخيه ذاتها وهذا ما قيل عن الابن المبارك «**من ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء لكي يكون «رحيما» ورئيس كهنة أمينا فيما لله حتى يكفر عن خطايا الشعب لأنه فيما تألـم مجربا يقـدر أن يعين المـجربين**» (عب ٢: ١٧ و ١٨) ولقد إستعمل كتبة الكتاب المقدس كلمات متعددة عبرية ويونانية ليعطوا لنا المعني الكامل لمصطلح الرحمة. كلمة واحدة؛ مثلا في معناها الأصلي تشير إلي الحب الأموي الأبوي (نحن نشير أيضا إلي هذا بدقة إلي الحب العائلي) هذه الوجهة لرحمة الله مثل محبة الأم لطفلها (إش٤٩: ١٣-١٥) وفي مزمور ١٠٣ يقدم لنا أربعة أبعاد لهذه الرحمة:

الصفـــة: يكللك بالرحمة والرأفة: فالرحمة تفتخر علي الحكم وقال الرب نفسه أريد رحمة لا ذبيحة.. وداود يتغنى في مزمور ٦٣ قائلا لأن رحمتك أفضل من الحياة شفتاي تسبحانك..

كان الكاتب النمساوي المشهور بيتر روجرز له والد شديد الحزم وكان الجميع يخافونه وفي طفولته إقترف مرة إثما وعلم أن والده سيعاقبه فخاف وبحث عن مكان يختبئ فيه من غضب والده فهداه فكره إلي حامل الساعة وكان عبارة عن دولاب طويل فدخل فيه وأغلق علي نفسه وأخذ يتطلع من ثقب المفتاح فرأي والده وهو يعنف الخدام ليفتشوا عليه إلي أن يجدوه ويحضروه!!

فأرسل الخدام مرة أخري في كل مكان ودخل إلي الغرفة التي بها الساعة وأخذ يبكي بمرارة علي إبنه الصغير لعل مكروها قد حدث له فما كان من الإبن بيتر علي إثر هذا المنظر المؤثر إلا أن قفز من الدولاب

مرتميا في أحضان أبيه الذي راح يقبله بكل حنان الأبوة فإختلطت الدموع بالإعتذارات والإبتسامات!!

مقياس الرحمة: يذكر العدد الخامس أن «**الرب رحيم طويل الروح وكثير الرحمة**» وهنا يجدر بنا أن نفرق بين النعمة والرحمة فقيل أن النعمة هي إستعداد الله أن يكرس نفسه لأجلك.! **والنعمة تعني أيضا أن الله يعطينا ما لا نستحقه بينما الرحمة تعني أن الله لا يعطينا بحسب ما نستحق!!** ويري بعض علماء الكتاب المقدس إنه في النعمة يُظهر الله صلاحه تجاه غير المستحقين؛ لكن في الرحمة هو يوجهها لهؤلاء الذين في بؤس وعوز.!!

ففي ذلك المشهد المأساوي الذي كشف بغير أقنعة ما يحتويه القلب البشري من رغبة تدميرية عارمة في تحطيم منابع الرحمة المُرسَلة لأرضنا.. والمُهداه إلينا في شخص ربنا يسوع المسيح!! ففي مقدمة فصوله قام بعضا من الرعاع المأجورين بالإتيان إليه بامرأة أمسكت في ذات الفعل مظهرين أنهم يسعون لتطهير المجتمع من مثل هذه الرذائل بينما في واقع الحال إن ما فعلوه لأجل ضبطها كان أشد نجاسة وفسادا!!

• فمما لا شك فيه أن هذه المرأة فعلت شيئا مخجلا جدا؛ أما ما فعله هؤلاء الفريسيون فكان شيئا حقيرا وخسيسا يستحق الإزدراء فبحسب الناموس الزاني يرجم ولكن بشرط أن يشهد إثنان أن الفعل قد تم!

• أي لابد أن يكون شاهدي عيان!! والسؤال كيف يصيران هكذا لعملية الزنا؟!! كم من الوقت راحا يحملقان في النافذة قبل أن يقتحما الغرفة!!؟ كم من الوقت بقيا خلف الستائر ثم أظهرا نفسيهما في المشهد الفاضح!!؟

● ماذا عن الرجل - الطرف الآخر - الذي زني معها هل إستطاع أن يتسلل ويهرب؟! أم أنه كان متواطئا معهم؟!

● إن هذه الأسئلة تثير الشكوك في هذا الإدعاء علي أنه فخ دون أدني إعتبار لمن يكون الضحية التي تدفع ثمن هذه المهزلة المُهلهلة!!

● عندما تكشفت أهدافهم لم يكونوا يسعون وراء الطهارة وتنقية المجتمع؛ وإنما كان مسعاهم الخبيث هو محاربة الطاهر مستخدمين هذا الطعم!

وهكذا تجلي في المشهد قطبيه الرئيسين - المرأة - وتمثل **التعاسة العظمي** بكل ما فيها من مآسي وإحباطات وإنحرافات في مزالق ظلامية تدمر ليس الجسد فحسب وإنما النفس والروح تحت تأثيرات شهوانية بهيمية تسعي لملء الفراغ وإشباع الحواس وقتيا دون نتيجة تبقي فتذكر!!

وفي المقابل تجسمت **المراحم العظمي** في شخص الفادى الكريم الذي مبدئيا تعامل مع فئة المشتكين المحاورين المجربين الذين كانوا يقصدونه هو ليطفئوا مصابيح الرحمة التي جاءت لتضيء الدرب والسبيل للجالسين في الظلمة وفي ظلال الموت!!

أرادوه أن يصدر حكما ناموسيا برجمها فتفقد البشرية جمعاء الرحمة المتطلع إليها من الجميع والمنتظرة من الكل؛ ولكونه صاحب الكلمة العليا كان عليه أولا أن يخلي المشهد تماما من كافة المشتكين فليس هناك شخص يملك أن يحكم في حضرة الديان العادل!!

وهكذا خرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ إلي الآخرين - لقد إنصرف الكتبة والفريسيون في صورة رمزية رائعة تظهر أن ليس لهم يد بالمرة في منع أو منح الغفران الإلهي!!

ومن الملاحظ أيضا عدم وجود التلاميذ في هذا الموقف؛ فالسماء يعنيها دائما أن تكون إعترافاتنا إليها مبقية أسرارنا الخاصة والمتعلقة حتى بخطايانا أو سقطاتنا في طي الكتمان بعيدا عن الشيوع لئلا تلوكها الشفاه وتتناقلها الألسنة فهي تحرص علي وجودها في محيط مؤتمن ومُصان تماما!!

وعندئذ فاضت مقاييس الرحمة.. وإنسابت ينابيعها متدفقة في حوار رقيق مغلف بتحنان نادر **يا إمرأة أين هم المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ ولا أنا أدينك؟** لم يكن غفرانا سهلا قط!! وإنما تطلب الأمر أن يسفك دماه الطاهرة إفتداء!! «**فبدون سفك دم لا تحصل مغفرة**» (عب ٩: ٢٢) فكان لابد أن تخضب هذه الدماء غطاء التابوت - كرسي الرحمة - لتعلن مبرهنة أن الذبيحة غير المعيوبة قدمت وقبلت. وبالتالي التبرئة أعلنت «**مغفورة لك خطاياك**» وما أحلي رنين الغفران الذي يشنف الأذان.. ويشفي كل الكيان!!

عظمة الرحمـــة: في مزمور (٦٥) والعدد ٣ يصرخ داود مقرا بأن «**آثام قد قويت علي.. معاصينا أنت تكفر عنها**» لكنه بعد أن إختبر عظمة هذه الرحمة قال في العدد ١١ من المزمور (١٠٣) «**قويت رحمته علي خائفيه**» نعم فرحمة إلهنا أقوي من خطايانا وآثامنا وتعدياتنا ومحبته أعمق من سقطاتنا وإنحرافاتنا!! فرحمته متعاظمة مثل إرتفاع

السموات فوق الأرض.. وكبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا ولعلنا نتساءل هنا لماذا لم يقل الشمال والجنوب؟ والإجابة لأنهما يتقابلان!! فقديما ساد الإعتقاد بأنهما لا يلتقيان إلا أن العلم الحديث إكتشف أنه إذا سار شخص متواصلا في اتجاه الشمال سوف يأتي إلي نقطة يجد بعدها أن يتجه إلي الجنوب عند النقطة المعروفة بالقطب الشمالي!!

هذه العظمة ترامت حتى إلي أعماق البحر حيث طرحت وإستقرت هناك خطايانا ولا يعود إلهنا يذكرها فيما بعد؛ ولقد علق أحدهم علي هذه العبارة قائلا: أنه قد رفعت لافتة فحواها «**ممنوع الصيد**»!!

مدي الرحمــــة: هل هذه الرحمة منوط بها نقطة الموقف الذي يستدعيها فقط؟ أم أن فعالياتها تستمر لفترة تالية؟ أو حتى تمتد لكل العمر فحسب؟ بالقطع لا.. ففي العدد ١٧ من مزمور ١٠٣ يؤكد أن **رحمة الرب إلي الدهر والأبد علي خائفيه.. هللويا..**

إنها رحمة أبدية ممتدة.. إنها ستصحبنا إلي هناك.. إلي بيتنا الأبدي؛ بعد أن رافقتنا طوال رحلة البرية بكل مشاقها ومعاناتها ووهنها فبينما نتطلع إلي المجيء الثاني للمسيح نكون «**منتظرين رحمة ربنا يسوع للحياة الأبدية**» (يه: ٢١)

خلص أحد عمال المناجم؛ ونزل إلي منجم الفحم ولم يمض علي خلاصه إلا أياما قليلة فسقط عليه المنجم؛ فأسرعوا لإزالة الأنقاض عنه ولما وصلوا إليه وجدوه يرنم ويكرر الشطرة الأخيرة من الترنيمة المعروفة **يا فرحي قد نجوت.. يا فرحي قد نجوت!!**

كان يجابه الموت والأبدية.. ولكنه لم يحزن.. ولم يخف!! بل كان

قلبه مملوء من الفرح والسلام؛ ذلك لأنه كان ممتلئ من يقين الخلاص والغفران.. كان مستعدا للقاء إلهه.

الله الحي في وسطكم بسيادتـــه: إن إعلان يشوع أمام الشعب العابر كله عن «سيادة الرب» كان أمرا في غاية الأهمية والضرورة وهذا ما جعله يكرره في الأعداد ١١ و ١٣ من الإصحاح الثالث «**هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابرا أمامكم.. ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت الرب سيد الأرض كلها**

تلك السيادة السلطانية المطلقة علي الكون وسائر العوالم المعروفة وغير المكتشفة بعد من خلال حكمه ورياسته علي كل ما يوجد خارجا عن ذاته؛ وهي تحدد علاقته بالكائنات وكل ما هو كائن وموجود..

ويُبني إمتلاك وممارسة هذا السلطان المطلق والحكم والرياسة السيادية علي ما يأتي:

**** وحدانية الله المقنمة..   ** وجوده الذاتي..**

**** إكتفائه بذاتـــــه..**

** أخيرا تقوم سيادة الله علي حقيقة **الخليقة**.. التي تعني إنشاء كل وجود آخر بأمره تعالي «**فبكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها**» (مز ٣٣: ٦) وتتضح أهمية هذه الآية في أن **كلمة** أو **نسمة الله** (النسمة هي رمز إرادته القادرة المبدعة) هي المسبب الأول لــكل مـا هو مـوجود لأنــه **قال فكــان.. هو أمر فصــار** (مز ٣٣: ٩)

* ولهذا فإن سيادة الله نابعة من كونه مالكا لكل شيء؛ وقد أكد ذلك

كل من ملكي صادق وإبراهيم بأنه هو «**مالك السماء والأرض. فللرب الأرض وملؤها.. المسكونة وكل الساكنين فيها**» (مز٢٤: ١)

* وأيضا سيادة الله نابعة من حقه في التسلط والحكم علي الجميع «**فملكه فوق الكل. وهو إله كل الأرض. فهو العلي المتسلط في مملكة الناس ويعطيها لمن يشاء**» (أش ٥٤: ٥ ودا ٤: ١٧و ٢٥)

* وبعد كل هذا الإيضاح يتكشف لنا كم هو عجيب أن يستخدم يشوع وهو يتحدث عن سيادة الرب كلمة «**عهد**» وكأني به يريد أن يؤكد أمرا هاما ألا وهو إن **كنا في عهد مع هذا السيد فلابد أن تصير كل الخليقة في خدمة شعبه!!**

* لنذكر أن الكتاب المقدس هو كتاب العهود؛ وتمت كتابة العهدين القديم والجديد إلي أناس كانوا يفهمون معني وأهمية علاقة العهد..

* لقد استعمل مترجمو اللغة الإنجليزية كلمة **TESTAMENT** مكان كلمة **COVENANT** والأولي تشير في الواقع إلي وصية أو رغبات الشخص بعد موته؛ ولذلك إختاروا هذه الكلمة بدلا من الثانية علي أساس أن العهد الجديد هو رغبة ووصية يسوع الأخيرة لنا وبعدما مات عنا ورثنا كلمته ومواعيده!!

* وكلمة **TESTANENT** لا تتوافق تماما مع الأصل العبري وتفقدها أهم مفهوم لها. أما الكلمة العبرية «**العهد**» فهي **BERIYTH** وتعني قطع إتفاق أو ميثاق (يتم بالمرور بين جزأين من الجسد) وتشير إلي قطع في اللحم حتى يتدفق الدم علامة علي إبرام اتفاق بين مجموعتين أو طرفين

* فالعهد يعني ما هو أكثر من عقد أو وعد أو رابطة إتفاق في الوجود وذلك لإشتماله علي الدم؛ إنه أكثر جدية ورسمي ودائم لأنه يتضمن علامة دم!!

* فلكي يتم العبور وتتحقق كافة نتائجه لابد وأن يكون هناك **عهد سيادة.. وسيادة عهد** وفي ضوء ذلك عندما مد موسى يده علي البحر الأحمر **شقه وإنتصبت المياه كرابية.. وتجمدت اللجج في قلب البحر** (خر ١٥: ٧)

* أليس هذا كان مقصد الرب السيد منذ بداية الخليقة فطالما كان آدم تحت سيادة الله صارت الطبيعة وسائر المخلوقات تحت إمرته وسيادته!!

* وحينما إستقرت بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت الرب في مياه الأردن.. المياه المنحدرة من فوق **تنفلق وتقف ندا (تلا) واحدا** مع ملاحظة **أن الأردن ممتلئ إلي جميع شطوطه كل أيام الحصاد** (يش ٣: ١٣ - ١٦)

لقد بسط **الله الحي في وسطهم** سيادته وسلطانه علي الطبيعة خليقته في مشهد مشابه في العهد الجديد؛ عندما قام السيد وإنتهر الريح وقال **للبحر إسكت. إبكم!! فسكنت الريح وصار هدوء عظيم** مما كان له أبلغ الأثر علي التلاميذ الذين لم يذهلهم روعة المعجزة؛ وإنما عظمة شخصه فراحوا يتساءلون بعضهم بعضا قائلين **من هو هذا فإن الريح أيضا والبحر يطيعانه؟!!** (مر ٤: ٣٩- ٤١)

ولما كانت سيادة الرب من الموضوعات الأساسية فيما يتعلق بإيماننا

فلقد كثف البشير يوحنا جهوده في بشارته ليركز في سائر المعجزات التي دونها.. والمجادلات التي سطرها.. والقضايا التي فجرها.!! لتثبت جميعها وبغير لبس سيادة الرب المطلقة مبرهنة واضحة تستحث إيماننا للإنطلاق **فالإيمان لا يضع حدودا لله.. وكذا الله لا يضع حدودا للإيمان..!!**

ومن المشاهد المستقبلية المبهرة تلك الواقعة التي سطرها يوحنا اللاهوتي أيضا ما جاء في سفر الرؤيا والإصحاح ١٢ والأعداد ١٥ و ١٦ في فترة الضيقة العظيمة وبعد إختطاف الابن الذكر فإن المرأة ستهرب إلي البرية؛ لكن أمرا سيحدث «**فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهر لتجعلها تحمل بالنهر.. فأعانت الأرض المرأة وفتحت فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه**»

ومما سلف نستشف من خلال هذه البراهين الساطعة سيادة الرب المطلقة علي الطبيعة وقد إستعلنت لشعبه عبر مراحله المختلفة!!

وكان من الضرورة بمكان أن تستعلن هذه السيادة علي سائر المعبودات الأخرى التي إرتبطت بها شعوب الأرض؛ ولقد كانت البداية بطبيعة الحال في آلهة المصريين المختلفة والتي من الملفت للنظر أنها كانت المقصودة بتلك الضربات التي وجهتها القدرة الإلهية في مواجهة حاسمة معها فقد كان لها علاقة بعبادة الشعب للآلهة الوثنية.!!

وليس غريبا أن تكون المواجهة الأولي مع المعبود الأول لمصر ألا وهو «**نهر النيل**» وقد قال المؤرخ الكبير «هيرودوت. مصر هبة النيل» وقد كانوا في القديم يعبدون النيل «الإله حابي Hapi إله النيل الذي كان علي شكل تمساح أجبر علي الخروج من النيل عندما تحول إلي دم» الذي

سيطر في إعتقادهم علي منابع النيل وكان مصدرا مهما للثروة السمكية والزراعة والصناعة ولذا أطلقوا عليه التسميات الإلهية فهو FATHER OF GODS وهو أيضا FATHER OF LIFE ورغم كل هذا الجلال المصبوغ عليه إلا أن الضربة كانت شديدة فتحولت مياهه وكافة مجتمعات المياه الأخرى من سواقي وآجام وفي الأخشاب والأحجار إلي دم ومات السمك لعدم قدرة (نيث وهاثور Neith & Hathor إلهتان كان عليهن حراسة بعض أنواع السمك) وأنتن النهر فلم يقدر المصريون أن يشربوا من ماء النهر المقدس والمعبود!

أما الضربة التالية فوجهت ضد الضفدع الإلهي تمثال مصر الذي كان يُعبد كالشكل الأرضي للآلهة «حيت Heat» فتسبب مقتا شديدا من المصريين للضفادع وإحتقارا وإزدراء لهذا الإله الخاص الذي كان من غير المفروض أن يُقتل.!

وكذا كان الأمر بالنسبة للذباب لإظهار ضعف وعدم مقدرة بعلزبوب إله الذباب علي حماية الناس من مثل هذه الحشرات!!

ثم جاء وباء الطاعون علي مواشي وحيوانات مصر فقد كان الإله بتاح علي شكل عجل والإلهة حاتر علي شكل بقرة! ليثبت أن الإله العجل أبيس معبودهم المقدس غير قادر علي حماية نفسه أمام قدرة وعظمة يهوه إله العبرانيين!!

وحينما حل وساد ظلام كثيف بحسب التعبير العبري الذي إستخدم كلمتين هما حوشك Hoshek– وأبيلاه Apelah ومعناهما ظلام وهذا ما يضع التوكيد الزائد علي الظلمة (حرفيا «ظلام ظلمة») لقد أرسل الله

ضربة ظلام كثيف فوق العادة وضرب قلب عبادة المصريين وعجز رع إله الشمس ويذكر التاريخ أن فرعون ذاته كان يُعبد كإله الشمس رع؛ بل وساد الإعتقاد أن حياة فرعون علي الأرض هي الإعلان المادي لرع وهكذا كان فرعون إلها قبل أن يولد وليس فقط أثناء حكمه لمصر! لهذا كانت هذه الضربة بمثابة لطمة ضد الإله الشمس المعبود للحماية من كل لعنات الشمس والتمتع بالنور والدفء والإثمار من خلالها!!

وأخيرا جاء موت الأبكار موجها لكل آلهة المصريين المفترض فيهم حماية حياة جميع البشر والحيوانات؛ إلا أن الإختبار البدائي لكل عائلة من خلال وجود ميت بها كان بمثابة إثبات أنه لا إله في مصر له القدرة ليقف في مواجهة إله العبرانيين!!

حتى الفرعون المتأله نفسه قاسى القلب لم يستطع أن يصد أو يصمد أمام هذه الضربة القاصمة القاضية فما كان منه إلا أن وافق علي غير رغبته أو إختياره بخروج الشعب الذي له مثل هذا الإله الحي القادر علي كل شيء..

لقد رأينا فيما سلف إعلان سيادة الرب علي الطبيعة وأيضا علي كافة الآلهة المعبودة؛ لكن نحن مدعوون لإظهارها حتما فيما يتعلق بالملوك والشعوب لاسيما وأن يشوع كان مزمعا أن يواجه سبعة ممالك وصفت بأنها الأكثر والأعظم وهي الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين (تث ٧: ٢)

وفي كل المعارك - ماعدا عاي - التي خاضها يشوع تأكد لديه بما لا يدع مجالا للجدال كيف أن يهوه القائد الأعلى بسط سلطانه وسيادته علي

سائر الملوك والرؤساء والشعوب الذين يصفهم أشعياء بالقول «**عندما يأتي العدو كنهر.. فنفخة الرب تدفعه**» (أو ترفع عليه علما كما جاء في الحاشية)!!

وهناك علي ضفاف نهر الأردن الممتلئ لجميع شطوطه كان علي يشوع أن يتعلم الدرس منذ البداية فإن كل هذا الهيجان النهري ليس في مقدوره أن يحدهم فيوقفهم مكانهم.. أو يعيقهم عن التقدم إلي الأمام!! فإنه بالمثل أيضا لا يمكن لسائر القوي الشعوبية السباعية أن تعيدهم للخلف ثانية لكونهم تحت قيادة وسيادة الساهر القدوس المتسلط في مملكة الناس!

ولهذا قد رأينا لاحقا كيف سقطت أسوار أريحا بلا أسلحة منظورة وتراجعت سائر القوي مهما بلغت سطوتها وجبروتها ويسطر الإصحاح الثاني عشر من سفر يشوع والذي يكشف عن كم الانتصارات الفائقة التي تحققت شاملة أسماء الملوك الذين هزموا في شتي المعارك.

ولو سألنا يشوع وسائر من كانت التحديات أمامهم ضخمة ومتعاظمة ما الذي وهبهم كل هذه الجسارة والتماسك والإصرار؟؟ لكانت إجاباتهم علي الفور **إن لنا ضامن حي في وسط شعبه.. وفيّ في وعوده قادر في إنجازاته!!**

كذلك نجد أيوب وقد حاصرته المتناقضات والتساؤلات **لماذا يتألم البار؟ ويعاني في إنحناء تحت وطأة تجارب وصفت بأنها بلوى محرقة!!** ولماذا تحدث أمورا سيئة لأناس خيريين؟ بينما تحدث أمورا جيدة لأناس أشرار؟؟ وكان نتيجة ذلك أن عصرته المضايقات حتى من

أقرب الأقربين منه - زوجته - التي تمثل فئة غير الفاهمين والمدركين لأبعاد ومغزى التعاملات الإلهية التي تفوق كل تصور!! أما تلك التعبيرات المُدمِية والتي فاقت كل ما أصاب جسده من جروح متقيحة والتي صدرت من أصدقائه الذين نصبوا أنفسهم قضاة يُفندون الظواهر ويحكمون عليه في ظلم بائر باتر إستوجب فيما بعد أن يعلن - السيد الحاكم العادل - بنفسه قراره النهائي بأنهم «**لم يقولوا فيه الصواب كعبده أيوب**»..!! (٤٢: ٧)

ولعلنا نستغرب كيف إستطاع أيوب أن يعبر كل هذه التجمعات السلبية التي تكالبت عليه وفي وقت واحد؟! فإننا سنجد أن السر يكمن في تلك العبارة الشاملة الكاشفة التي رددتها شفتاه بعدما ملأت قلبه معلنا إياها علي الملأ «**كن ضامني عند نفسك**» (١٧: ٣) أو «**ضع ضمانتي معك** - كما في وردت في الحاشية - وقد جاءت في الإنجليزية PUT ME IN A SURETY WITH THEE.

فلا ضامن حقيقي غيره.. ولا أمان تام بدونه..

إنه ليس فقط ضامن العبور.. لكنه أيضا محقق الوصول..

هكذا تغنى به حزقيا الملك قائلا «**كن لي ضامنا**» (أش٣٨: ١٤)

أما كاتب المزمور ١١٩: ١٢٢ فكان لسان حاله هذه العبارة المفعمة بالثقة.. والمتلئة باليقين في شخص إلهه الحي بقولته النابضة «**كن ضامن عبدك للخير**»

ويجدر بنا أن نختتم هذا الفصل بما دونه الكاتب الملهم لرسالة

العبرانيين مقدما بعد مقارناته المتعددة وأفضلياته المسردة الشخص الفريد -يسوع المسيح - ففيه **ضمان العهود**.. لكونه **وسيط لعهد أعظم قد تثبت علي مواعيد أفضل.. فهو ضامن العهد الأفضل..** (عب ٨: ٦)

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلي الكلمة - ضامن - التي يستخدمها الكاتب فهي شيقة للغاية ومتفردة أيضا لكونها لم ترد إلا في هذا النص فقط في كل العهد الجديد وتعني:

* أن **الضامن** هو الذي يعطي ضمانا لشخص ما لدي البنك لكي يسحب أكثر من رصيده وهو يضمن سداد المبلغ في الوقت المعين

* **والضامن** هو الكفيل بإطلاق سراح السجين؛ وهو يتكفل بوقوف السجين أمام المحكمة في الموعد المحدد..!!

* يالها من حقائق معزية للغاية فهذا الضامن غير المحدود متكفل بكل دقائق وتفاصيل حياتنا الروحية والمادية والأبدية علي نحو لا يمكن أن تدركه عقولنا بل لتهدأ وتستريح عليه أرواحنا ونفوسنا إلي مدي الدهر والأبد!!

* نعم فكل ماله صار لنا. فإن كل شيء لنا. العالم. الحياة. الموت الأشياء الحاضـرة. والمستقبلـة. كل شيء لنا. لأننـا للمسيـح. والمسيـح لله (١ كور ٣: ٢٢)

الفصل الرابع

تعظيمات علوية

يحكي عن رجل عالم تقي إسمه «كيرنز» كان يدخل قاعة مع بعض المشهورين من عِلية القوم متجها إلي المنبر؛ وعندما رآه الجمهور صفقوا له طويلا؛ فدفع الشخص الذي يليه إلي أمامه وأخذ يصفق له لأنه من فرط تواضعه لم يظن أن التصفيق والترحيب الشديد موجه له!!

نعم فإن العظمة إمتياز إلهي. وعندما يحاول الإنسان ذلك دَل هذا علي الغرور والتعالي والنفخة الكدابة التي تطل بوجهها القبيح حتى في عالمنا الروحي المفروض أن يتميز بالتواضع وإنكار الذات!! وهذا ما أكدته كلمات الحكيم الفاحصة الكاشفة عندما قال «**إن طلب الناس مجد أنفسهم ثقيل**» (أم ٢٥: ٢٧) كما حدث في السبعينيات عندما قدم «ميشيل مانلي» نفسه علي أنه يشوع الذي سيقود شعبه إلي أرض الموعد وكان يحمل في يده عصا أهداها له «هيلاسلاسي» إمبراطور الحبشة المعروف عند شعبه بأنه «أسد يهوذا الغالب» وقد إستطاع أن يثبت أن نسبه يرجع إلي الملك سليمان.!!

وليس غريبا عندما نتطلع من حولنا فنري أن كل الذين يسعون إلي أن يعظمهم البشر تدوسهم الأقدام.. وتطردهم الأجسام.. وتلفظهم الأقلام.. ويحتقرهم العِلية والعَوام..!! أما الذين لا يشغلهم سوى إتمام المهام.. وتحقيق المرام.. لمنفعة كل الأنام؛ فتجدهم محمولين علي الأعناق.. محوطين بذوي الأخلاق.. يحتضنهم نبض القلوب الخفاق!!

والعظمة أنواع منها **عظمة الممتلكات** مثلما كان نابال الأحمق

عظيما جدا (١ صم ٢٥: ٢) تلك العطايا السماوية.. والمنح الربانية التي كشفت عما في داخله من عمي بصيرته وحتى عدم قدرة عينيه علي رؤية حقيقة نفسه.. وماله.. ومن حوله!! فلا عجب أن تنتهي حياته بموت قلبه داخله وصار كحجر!! وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات غير مأسوف عليه!! (١صم ٢٥: ٣٨)

أما عظمة الأفعال تلك التي مارسها الشاب المسبي «**مردخاي**» حين أدي ما عليه دون أن ينتظر شيئا ما يُرد إليه؛ وهكذا سعي التكريم نحوه دون أدني طلب منه!! بأن يتساءل الإمبراطور نفسه «**أية كرامة وعظمة عملت له؟؟**» ولكي تكتمل الإثارة كان لابد وأن يُكلّف «**هامان**» حقود القلب والمتطلع لتدمير شعب الرب وعلي رأسهم الملكة «**أستير**» والبواب مردخاي الذي رفض أن تنحني هامته لغير إلهه - **يهوه** - وياله من مشهد ويالها من عظمة فهذا «**هو الرجل الذي سُرّ الملك بأن يكرمه**»

ثم عظمة الآراء البناءة: تلك التي نمارسها بأنفسنا ونعلنها للآخرين «**فمن عمل وعلم هـذا يدعـي عظيمـا في ملـكوت السمـوات**» (مت ٥: ١٩) فليس الأمر عبارات رنانة.. أو شعارات براقة.. أو تعاليات هلامية خيالية.. أو أحمال صعبة نضعها علي كواهل من حولنا لم نقدر نحن عليها!! وهذا كان مضمون القرار المجمعي الأول بعد إنضمام الأمم إلي حظيرة الإيمان المتسعة للجميع عندها قال بطرس قولته المشهورة «**لماذا تجربون الله بوضع نير علي عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله**» (أع ١٥: ١٠)

وأخيرا عظمة الإيمان: وهي الأفضل دائما.. والمُمتدحة من الرب

شخصيا.. فها هو يقول في إغتبـاط لتلك المرأة الكنعانيـة «**يا امرأة عظيم إيمانك**» (مت ١٥: ٢٨) وفي موقف آخر يعلن مُشيدا بالرجل قائد المئة قائلا وعلي الملأ «**الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيمانا بمقدار هذا؟!**»(مت ٨: ١٠)

هل نتساءل في هذا الإطار ونقول يالها من عظمة؟! أم الأجدر بنا أن نذهل مشدوهين ونقول بل ياله من تنازل جعل كاتب المزمور يتغنى مترنما «**لطفك يعظمني**» (مز ١٨: ٣٥) ومن فيض هذا التعطف الإلهي نكتشف أن هذا التعظيم الممنوح من السماء ليس لفترة محدودة وإنما يشمل الحياة بجملتها طالما كانت في الدائرة العبورية المستديمة!

وهذا يتجلى بغاية الوضوح في حياة يشوع المُستخدَمة لأن عظمة الإيمان تنعكس ببريق أخاذ علي **عظمة الخدمة المؤداة** والتضحية المنسكبة علي مذبح التكريس «**فمن أراد منكم أن يكون عظيما فليكـن لكم خادما**» (مر ١٠: ٤٣)

ففي يوم العبور قال الرب ليشوع «**اليوم أبتدئ أعظمك في أعين جميع إسرائيل لكي يعلموا أنني كما كنت مع موسى أكون معك**» (يش ٣: ٧)

يالها من كلمات مبهرة.. بل ياله من وعد مذهل!!

يا تري ماذا كان وقعها علي أذنيه؟ لاسيما وهو الشخص الأول الذي تقال له مثل هذه العبارة المتفردة!!؟

هل فوجئ بها؟ بلا أدني شك هذا شيء مؤكد!؟

هل كانت بمثابة إمتحان لخباياه.. وإستجلاء لمعدنه الإنساني والإيماني معا؟؟ وكأن السماء تريد أن تكشفه أمام نفسه.. وأيضا تظهره لجميعنا مقدمة لنا النموذج الذي يُكلمه الرب.. ويستخدمه السيد ويُعظمه الحي إلي أبد الآبدين..!!

فكم من عينات بعدما رفعها الرب بسبب معرفتهم لإسمه؛ إذ بهم يرتفعون ويترفعون فوق الجميع سطوة وتسلطا حتى راحوا يسودون علي الأنصبة.. محبين للمراكز والزعامات الزائفة التي تصدع الكيان الداخلي لشعب الرب علي مرّ العصور!!

ومما لا يدع مجالا للمناظرة هو أن السبب الرئيسي وراء مثل هذه التوجهات هو النزعات الذاتية علي مستوي الأفراد.. والعرقيات في إطار الجماعات والشعوب مثلما تعالي الجنس الآري علي سائر الأجناس الأخرى!! وإعتبر اليابانيين أنفسهم أنهم أبناء السماء!! وقال سيسل رودس أن أعظم شعب رآه العالم اليوم هو الشعب البريطاني.. أما أحد الأمريكيين فقال إن الله بدأ بالأقل وصنع القردة المعروفة بالغوريللا ثم صنع الشمبانزي.. ثم الهمجي.. ثم المكسيكي.. ثم الهندي فالياباني ومن بعده الألماني.. فالأسكتلندي.. فالإنجليزي.. وآخر الكل صنع الأمريكي ورأي أنه حسن!! وليس هناك أشر من العُجب بالنفس والتفاخر بالأصل.. والتشدق بالإنجازات..!!

لكن الرجل يشوع لم يغيره.. أو يبدله.. أو يحوله وعد علي هذا المستوي من الروعة لكونه صادر من الرب نفسه.. وهذا يلفت نظرنا لشيء غاية في الخطورة ألا وهو عدم سعي هذا الخادم لنوال مثل هذه العظمة التي

لم يكن لها في قلبه وداخل روحه أية أثر علي الإطلاق؛ لأن رغبته المُتملكة علي كيانه لم تزد عن حرصه الشديد علي إتمام كل ما أوكل إليه مهما كانت صعوباته أو غرابته.. ومهما تجشم في سبيل ذك من معاناة أو مشقات!!

وخير دليل علي هذه البينة الحاسمة أنه في نهاية العبور يذكر الوحي هذه العبارة التقريرية التقديرية «**في ذلك اليوم عظّم الرب يشوع في أعين جميع إسرائيل فهابوه كما هابوا موسى كل أيام حياتــه**» (يش ٤: ١٤) إلا أن الأدهش فعلا في هذا الأمر أنه كما كان هكذا إستمر الحال في كل الحياة؛ فلقد سطرت هذه الكلمات النورانية لتؤكد حقيقة غالية تعلن «**وكان الرب مع يشوع وكان خبره في جميع الأرض**» (يش ٦: ٢٧)

علي الفور نجد سؤالا يطرح نفسه فحواه كيف يمكننا أن نكتسب هذه العظمة الحياتية التي تسعي لتمجيد إلهنا؟ عندها سيكون علينا أن ندرك عدة أساسيات هامة لا ينبغي أن نغفل عنها قط أو تفوتنا فنضمن بذلك تواجدا دائما في هذه الدوائر التعظيمية:

(١) لمن نحــن: ياله من سؤال مصيري يتوقف عليه نوعية الحياة الحاضرة والعتيدة أيضا؛ لقد إفترضه يعقوب عند مقابلته عيسو لأسرته بعد هذه الغيبة الطويلة (تك ٣٢: ١٧) وبعينها نفس العبارة والحروف «**لمن أنت**» (١صم ٣٠: ١٣) التي نطقت بها شفتا داود عندما وجد الغلام المصري العبد للرجل العماليقي الذي تركه سيده لمرضه منذ ثلاثة أيام!!

وهو نفس السؤال الذي وجهه الواعظ الشهير «رولاند هيل» لليدي

راسكين التي خرجت من قصرها أثناء إلقائه إحدى عظاته في الهواء الطلق «**لمن أنت؟؟**»

* **هل للعالم؟** بكل ما فيه من إغراءات وشهوات الجسد والعيون وتعظم المعيشة.؟!

* **هل للشيطان؟** علي الرغم من أنه الخدّاع الكذاب وأبو كل كذاب؟!

* **هل للناس؟** الذين سريعا ما يتنكرون لكل ما فعلته لأجلهم فيتركونك تواجه المرض والموت وحدك دون أدني شفقة أو رحمة؟!

* **هل لنفسك وذاتك؟** متناسيا من حولك شعارك «كلي يا نفسي وافرحي لأن لك خيرات كثيرة لسنين عديدة «غير عالم أنه الليلة تطلب نفسك منك والذي أعددته لمن يكون؟؟

* **هل للغني والمال؟** ذلك السيد القاسي الذي يميت الضمائر. ويعوج القضاء.. ويدمر العلاقات الأسرية.. ويفسد الذمم.. ويعمم المظالم ويعمق الطبقية.. ويوسع المجالات أمام السوق السوداء.. والتجارة المحرمة للرقيق الأبيض.. وتجارة الأعضاء.. واختطاف وبيع الأطفال وبيع وتهريب الأسلحة الفتاكة.. والمخدرات الإخطبوطية التي تسري في الخلايا المخية والجسمية فتحيل الكيان كله إلي هيكل عظمي مُفرَّغ من كل القِيم والمثل الإنسانية التي خُلِق من أجلها!!

* **أم أنت - وأنا** - لذاك الذي خلقنا علي صورته.. وإفتدانا ليُجَسِدَ فينا صورته.. إنه الأجدر بنا.. فهذا حقه الشرعي الذي لا يرضي به قهرا أو خوفا.. وإنما حبا وشغفا راحت تتغنى به العروس وتردده قائلة «**أنا**

لحبيبي.. وحبيبي لي.. وإلي اشتياقه» ذاك الذي أحبني فضلا أحبني إلي المنتهي.. محبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة!

عندما تتأصل هذه الملكية في حياتنا سيصغر العالم في عيوننا ولا يبقي للشيطان أي سلطان علينا.. رافضين سلطة وسطوة الآخرين وتملكهم لقدراتنا، وتأثيراتهم علي قراراتنا، مرددين شعارا تحرريا من كل ذاتيتنا «**فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في**» عندئذ ستخلو سيرتنا من كل محبة للمال التي هي أصل لكل الشرور (الجنسية.. والعدوانية والتغييبية)!!

(٢) <u>مـن نخـدم:</u> علي ضوء نوعية إجابتنا للسؤال الأول سيتحدد بالقطع وبالتبعية الشخص أو الجهة التي سنقوم بخدمتها من خلال توحد كافة جهودنا.. وتوجيه كل ملكاتنا ومواهبنا وقدراتنا.. وتخصيص أوقاتنا وعمرنا لأداء كل ما يتطلبه الدور المنوط بنا القيام به..

ومن الطبيعي أن نخدم أوطاننا التي أوجدتنا فيها الإختيارات الإلهية مؤدين الأمانة الموكولة إلينا كمواطنين صالحين وأن تكون «**سيرتنا بين الأمـم حسنـة.. خاضعـين لكل ترتيب بشـري لأجـل الـرب**» (١بط ٢: ١٢ و١٣)

ومن اللائق أن تحظى بيوتنا وأسرنا وعائلاتنا بدائرة أوسع في مجالات إهتماماتنا مُدبرين إياها بكل تحنان ومودة لأنه إن كان أحد «**لا يدبر بيته حسنا فكيف يعتني بكنيسة الله**» (١ تى ٣: ٥)

ومن المُلِذ المُحبب إلي أعماقنا هو أن تتوج حياتنا بخدمة إلهنا الذي أحبنا وإفتدانا؛ لأن ذلك هو قمة التشريف الذي من الممكن أن يحظى به ويناله وجودنا الأرضي المحدود والمشوب بالتقلبات الكونية والصحية

وحتى الروحية!! وكلها عوامل تستحثنا علي الإستفادة بكل ثانية في عمرنا نسعى نحو الغرض.. نكمل سعينا.. نخدم جيلنا بكل مشورة الله (أع ١٣: ٢٥ و٣٦ - في ٣: ١٤)

ومن الرائع أن نتذكر دائما أننا **عاملون مع الله** (١كور ٣: ٩) وأنه **يعمل معنا** (مر ١٦: ٢٠) فلسنا بمفردنا وإلا دهمتنا المفشلات وحطمتنا التحديات!! وإنما يده تعمل علي موآزرتنا وتعضيدنا.. فلولاه لما بقي شخص في خدمته.. وما إستدامت أية خدمة مهما كانت ضئيلة الحجم.. قليلة الشأن!!

ومن الضرورة بمكان أن نراجع أنفسنا من حين لآخر حتى لا تنحرف خطواتنا.. وما أسهل الانزلاق خاصة عندما ننسلخ من تحت قيادته وإدارته فعلي الفور تفقد الخدمة مقاييسها وعندئذ ستتحول حتما لتكون أحد الاتجاهات الآتية:

* محاولات لتحقيق مآرب جسدانية بحتة جريا وراء الشهرة والبريق وعُلو المَنزِلة وخير مثال علي ذلك هو ديوتريفس الذي يُحب أن يكون الأول فوق الجميع!!

* إستغلال شتى المواقف لتحسين الموارد المالية بحجة أن الخادم ينبغي أن يكون متمتعا بكل شيء؛ نعم هذا صحيح إلا أنها عبارة منقوصة مبتورة وغير مكتملة!! ولكي تكون صحيحة وكاملة علينا أن نقرأها علي هذا النحو «**الخادم يتمتع بكل شيء يمنحه له السخاء الإلهي دون أن يطمع هو في الحصول علي المزيد بطرق مشروعة أو غير مشروعة**» وهاهو جيحزي يطل علينا برأسه الممتلئ بالبرص

بعدما عاتبه النبي أليشع قائلا له «**أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجواري**» كاشفا بذلك دفائن هذا القابع كخادم أمام الباب لكنه الساعي بكل كيانه وقوته وراء نعمان..!!

* هناك فئة وصفت كتابيا بأن «**مثل هؤلاء لا يخدمون الله بل بطونهم**» (رو ١٦: ١٧و١٨) ولكي يحققوا هذا الهدف الحقير فإنهم لا يتورعون عن صنع الشقاقات والعثرات خلافا للتعليم الصحيح الذي تعلمه شعب الرب وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء!! صدق عليهم ما قاله الرسول «**أن آلهتهم بطونهم ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الأرضيات**» (في ٣: ١٩)

* ناهيك عن أولئك الذين يستغلون ثقة المخدومين فيهم فيدلون بأسرارهم الخاصة لهم وسرعان ما يتاجرون بها سواء من علي المنابر أو يستخدمونها بمثابة ضغوط خانقة تضطرهم في النهاية للخضوع لكافة ما يفرض عليهم من مطاليب مشبوهة أغلبها من النوع الآثم!!

ولكي لا تحدث مثل هذه الإنحرافات المُشينة والمُسيئة إلي عمل الله يجب علينا أن نعرف بإعلان خاص من قبل الرب ما هي:

(٣) **المهام الموكولة إلينا:** فهذا الأمر ببساطة شديدة سيوفر علينا التوزع هنا وهناك.. وسيكفينا طائلة التداخل فيما لا يعنينا.. وسيحررنا من كافة التوترات التي قد تنشأ نتيجة إحتكاكات ربما تكون غير مقصودة بالمرة..!!

ينبغي ألا يفوتنا قط أن لِكل منا خطة إستخداميه متفردة لا تنفع لغيرنا ولا تصلح لسوانا.. قد أعدّ لها من قِبل السماء كل ما يدعمها ويوفر

لها أداء كل المطلوب منها.. بل ويضمن لها نجاحات باهرات!! فعلي ضوء ذلك تُمنح الوزنات والمواهب.. وفي إطار المخطط تنطلق التوجهات فلا نحتقر ما بين أيدينا لأننا لم نأخذ عددا أكثر من غيرنا ولا نحسد من لديهم ما يفوق ما في حوزتنا!! لأن الذي يعطي ويهب هو الرب **«فهو أعطي البعض أن يكونوا رسلا.. مبشرين.. أنبياء. رعاة ومعلمين»** (أف ٤: ١١) بل حتى عند توزيع المواهب الروحية الفائقة للطبيعة فإن الروح نفسه يقسم لكل واحد كما يشاء الروح وليس حسب طلباتنا التي نرفعها إليه!! (١كور ١٢: ١١)

ويسوق الرسول بولس من خلال حديثه عن هذا الموضوع الحساس والمتعلق بشتى المواهب طبيعية كانت أو روحية أو فائقة للطبيعة مبدأ حاسما أوجزه في عبارة تفيض حكمة وواقعية **«فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلي التعقل كما قسم الله لكل واحد مقدارا من الإيمان»** (رو ١٢: ٣) وعلينا إعمالا بهذه القاعدة التطبيقية الغالية **ألا نرتئي فوق أو نرتئي أقل!!**

وفي هذا الإطار علينا أن نعتبر كل ما نوهب إياه لأجل القيام بالدور المطلوب منا هو بمثابة فرصة ذهبية لإثبات مدي أمانتنا وإخلاصنا وعندئذ سيتاح لنا أن نتمتع بالوعد **«الأمين في القليل أمين في الكثير أيضا»** (لو ١٦: ١٠)

وحقيقة الأمر أن أداء المهام لا يقاس قط بالحجم وإنما بالروح التي تؤدي بها؛ وهذا يشمل التوقيت المطلوب والمحدد سماويا.. والمسعى

المرغوب لتمجيد الرب.. وكذا تحقيق الإنجازات التي تضيء أسطر وصفحات التاريخ الشخصي والعام علي حد سواء والتي تتأيد بإقتناعات الجميع الذين يتابعون تلك اللحظات الخالدة زمنا وأبدا!!

فكما استخدم الرب موسى عند عبور البحر الأحمر مُعَظِما «**فآمنوا به**» (خر ١٤: ٣) فالآن جاء الدور علي يشوع كخليفة لموسى من خلال عبور الأردن وإدخالهم كنعان.. كذلك - والقياس مع الفارق - عظّم الأب السماوي ابنه - يسوع المسيح - عند نهر الأردن أثناء معموديته باعتباره الوسيط الوحيد الذي سيعبر بالبشرية من الموت إلي الحياة ,, ومن الظلمة إلي النور..!!

ولكي نستخرج بعضا من هذه المقاصد الإلهية التي أرادتها السماء عندما صرحت للقائد الجديد أنها من اليوم **أبتدئ أعظمك** فإن هذا تطلب منا أن نغوص في تلك الكلمة العبرية المستخدمة في هذا الإطار وهي GADAL لكي نجد أنفسنا أمام ٣ معان غاية في الروعة.. ودروس قمة في عمقها:

الدرس الأول:طريق العبور.. عظمة.. برهان قوة: فليس هناك عظمة حقيقية ملموسة ومرئية بدون أن ترافقها القوة.. روح القوة. وهذا شرط أولي أدلي به موسى في حديثه مع الرب بعدما علم أن مهمته في قيادة الشعب قد إنتهت ولم يعد أمامه إلا أن يصعد إلي جبل عباريم لينظر الأرض التي أعطيت لبني إسرائيل؛ عندها قال «**ليوكل الرب إله أرواح جميع بني البشر رجلا علي الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا لا تكون جماعة الرب كالغنم**

التي لا راع لها وعلي الفور أجابه الرب قائلا «**خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه** (عدد ٢٧: ١٢ - ١٩)

هذا هو المطلوب إذا لإتمام العبور - قوة الروح.. وروح القوة إنها الصفة اللازمة والملازمة لأولئك الذين يأتمنهم الرب علي عمله.. وقيادة شعبه.. وتحقيق أهدافه.. فها هو كالب - رفيق يشوع - **كانت معه روح أخري** (عدد ١٤: ٢٤)

ففي **العبور** مواجهات شرسة.. ومخاطر متعددة جعلت أرميا لاحقا يكتب في وضوح عن ضرورة التزود والتأيد بالقوة قائلا «**إن جريت مع المشاة فأتعبوك.. فكيف تباري الخيل؟! وإن كنت منبطحا في أرض السلام.. فكيف تعمل في كبرياء الأردن؟!** (أر ١٢: ٥)

ف**العبور** إذا ليس فسحة ونسائم رقيقة.. وإنما هو تحدي لعواصف وزئير المياه..!!

و**العبور** أيضا ليس تطلع لمجرد الجري مع المشاة مما قد ينتج عنه تعبا وإرهاقا..!! وإنما يتعدى ذلك ويفوقه تماما لأنه تعلم وتدرب لأن تباري الخيل منافسا.. ومسابقا.. ومضاهيا!!

و**العبور** أيضا ليس الإنبطاح والإستكانة في أرض السلام.. وإنما العمل والجهد في مواجهة صارخة وصارمة لكبرياء الأردن المندفعة مياهه في تحدي سافر.. والممتلئة شطوطه في غزو غامر!! لكنها لن تتمكن بأي حال أن تحد وتعيق التقدم والامتلاك!!

وعبر كل التاريخ الروحي لشعب الرب تطالعنا **القوة الروحية**

كالعلامة المميزة لكل فترة إنتقالية حاسمة ومؤثرة.. فلكي يتحقق عبور محوري في حياة الكنيسة الأولي وهي لا زالت في مهدها وبعد تلك الفترة العصيبة التي إجتازتها بعد موت الرب ودفنه؛ بل وحتى علي الرغم من ظهوراته المتعددة والمُبرهِنة علي قيامته الظافرة والتي من خلالها كان الهدف الأول هو **إعادة ترتيب البيت من الداخل وإعداده للمرحلة اللاحقة** والتي كانت بدايتها الأساسية تتمثل في حصولها علي موعد الأب ونعني به إنسكاب الروح القدس وإمتلاء جميع المجتمعين المئة والعشرين المصدقين والمصلين المنتظرين في العلية.. وقد نالوا هذه القوة الفريدة كما قيل لهم **ستنالون قوة متى حل الروح القدس** والشيء الذي يلفت النظر بشدة هو أن المكان المجتمعين فيه امتلأ أولا والمقصود بذلك طبعا هو تهيئة الجو العام لمثل هذا الحلول المبارك والمُشَرِف!!

ولقد إستخدم السيد كلمة رائعة حين قال لهم «**تلبسوا**» قوة من الأعالي.. فالكلمة تلبسوا أقوي وأشمل من «**تعطوا**» فهي تتضمنها وتزيد عليها ُتحتووا.. ُتعطوا.. ُتسربلوا.. تصيرون في القوة والقوة تصير فيكم.. كالإسفنجة في الماء والماء في الإسفنجة!!

ولكي تكتمل الفائدة في هذا الاتجاه علينا أن نعرف أن للكلمة **تلبسوا** والتي وردت في الإنجليزية Endude أو Indude إستخداما ن رائعان ديناميكيان هما:

** أولا في المجال الكهربي.. وتعني بذلك سريان تيار عالي سماوي في كل الكيان البشري محدثا تلك العلامات والتحركات التي صاحبت وصول هذا الملء الفائق إلي هذه الجماعة الأمينة لبداية لعهد جديد يفوق

كل ما سبق حيث كان الحلول الروحي مؤقتا وخاصا بإنجاز بعض المهام مع إمكانية المفارقة؛ ليكون الحال هو مكوث دائم وسكنى مستمرة!!

** ثانيا في المجال المغناطيسي.. حيث الإنجذاب نحو حياة روحية رفيعة إشتهتها قديما عروس النشيد قائلة **إجذبني** لتعكس بالضرورة جاذبية مغناطيسية يكون لها أبلغ الأثر علي سائر المحيطين!! أليس هذا ما حدث فعليا في يوم الخمسين المبارك حين إنجذبت النفوس بالألوف إلي شبكة النعمة بعد توقف دام طوال خمسين يوما من بعد القيامة لم تخلص فيها نفس واحدة!!

إنها قوة تحول كل ضعف وفشل.. بجذبها في نطاقها الضعفاء والفاشلين والقانطين!!

إنها قوة ترفض كل مظهرية شكلية.. لأنها تطلق العنان للديناميكية المحركة!!

وهكذا إنطلق جميع الشعب برئاسة قائد جديد منحته السماء هذه العظمة المشمولة بالقوة العلوية.. وكهنة ممسوحون متحمسون يحملون علي أكتافهم التابوت.. وشعب متجرئ متحدي يسعى بغاية الشوق إلي نوال المواعيد بإمتلاكها فعليا!!

الدرس الثاني: طريق الخطة.. عظمة.. فيض حكمة وبناء: ومن المسلمات أن القوة والحكمة متلازمان.. لأن **القوة بدون حكمة طيش أخرق.. والحكمة بدون قوة عجز مطلق..!!** ولذا فليس مستغربا أن يذكر الكتاب أن يشوع بن نون **كان قد امتلأ حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصي الرب موسى** (تث ٣٤: ٩)

إنها الحكمة الملفتة للنظر.. والباعثة علي الحيرة والتساؤل من كافة المحيطين والتي إنبعثت علي ألسنة القوم بعدما إستمعوا إلي مصدر الحكمة وباعثها قائلين **من أين لهذا هذه؟ وما هذه الحكمة؟ أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان** (مر٦: ٢و٣)

إنها الحكمة المطلوبة والمرغوبة من العقلاء المتفهمين والمدركين لحجم المسئولية الملقاة علي كواهلهم مهما كان مقدارها ومتطلباتها!! وعلي ضوء ذلك لم يتردد سليمان في طلب **الحكمة والفهم** عندما تحدث الرب معه في تلك الليلة التاريخية حين تراءى له في حلم قائلا له **إسأل ماذا أعطيك؟** ولقد حظيت إجابته المدهشة إستحسان الرب تماما.. ولاقت ترحيبا وتقديرا من قِبل السماء التي منحته **حكمة نادرة** لم تكن لغيره من قبله.. ولم تُسبغ علي أحد بعده!! فليس الحكيم هومن يعرف بل من يعرف أن يجد ما يحتاج أن يعرف.!

بل وتقديرا من جهتها لمثل هذا التوجه غير المسبوق كافأته بغنى جزيل صار مضربا للأمثال.. وكرامة رفيعة لم توهب لسواه.. هذه كلها كانت نتاجات لكونه لم يطلب تلك الرباعية البشرية الشهيرة والمتمثلة في:
*** أموال وغني * كرامة * نفوس أعدائه * أياما كثيرة** (١مل ١٣: ١١ - ١٤) وعندما إستيقظ من الحلم وجاء إلي أورشليم ووقف أمام تابوت عهد الرب وأصعد محرقات وقرب ذبائح سلامة وعمل وليمة كبيرة لكل عبيده (١ مل ١٣: ١٥)

إن طريق الحكمة هو طريق العظمة ولذلك قيل «**وعظم الرب**

سليمان جدا في أعين جميع إسرائيل وجعل عليه جلالا ملكيا لم يكن علي ملك مثله في إسرائيل (١ أخ ٢٩: ٢٥)

إن طريق الحكمة هو سبيل البناء **فالحكمة بنت بيتها.. نحتت أعمدتها السبعة** (أم ٩: ١) وفي واقع الحال إذا قدمنا تقريرا منصفا عن إنجازات سليمان العديدة.. وحكمته التي أذهلت ملكة سبأ وأذابت قلبها لأقرينا علي الفور بأن قيامه **بتشييد هيكل الرب** الذي يشير إلي الثبات بعد مرحلة الخيمة المتنقلة؛ ولا سيما **إحتفال التدشين الرهيب** الذي أقامه إبتهاجا بتلك المناسبة الجليلة مصليا صلاته الصادرة من قلب نقي.. وكان لما إنتهي من صلاته **نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح.. وملأ مجد الرب البيت.. ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب.. لأن مجد الرب ملأ بيت الرب** (٢ أخ ٧: ١-٣)

وهو ذات الأسلوب السماوي المغلف بالبهاء الإلهي المعبر وبمجد عن الحضور الفائق للحضرة العلوية؛ فهكذا كان الموقف تماما عندما أكمل موسى العمل في الخيمة عندئذ **غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن** (خر ٤٠: ٣٣و٣٤)

وعلينا أن ندرك تآلف هذه الثلاثية وتفاعلها المستمر معا **فالحكمة تؤدي وتقود إلي البناء.. والبناء الصحيح هو انعكاس للمجد!!** إلا أن الإكتشاف المذهل في هذا الإطار هو الانعكاس الدائم والمستمر للحضور المجيد فلم يكن الأمر متعلقا أو متوقفا علي البدايات الإنشائية التدشينية الجديدة وإنما الإستدامة في كل الأيام والأوقات!! ففيما يتعلق بخيمة

الاجتماع ورد في سفر العدد (٩: ١٥و١٦) **«وفي يوم إقامة المسكن غطت السحابة المسكن خيمة الشهادة.. وفي المساء كان علي المسكن كمنظر نار إلي الصباح.. وهكذا كان دائما..**

أما ما تم في يوم تدشين البيت الجديد - ليس الخيمة أو الهيكل - وإنما كنيسة العلي جسده بموجب التدبير النهائي لمقاصده في خليقته ومفدييه نجد توافقا غريبا وعجيبا وإرتباطا مذهلا **فالذين إجتمعوا في الإصحاح الثاني من سفر الأعمال لنوال الاختبار المبارك لموعد الآب كانوا ١٢٠ شخصا وهو نفس عدد الكهنة الموجودين في هيكل سليمان عند تدشينه** (٢ أخ ٥: ١٢) وحدث أن بيت الرب إمتلأ سحابا في الهيكل.. وإمتلأ كما من هبوب ريح عاصفة في يوم الخمسين كانعكاس لمجد الرب الباهر في الحالتين!! (أع ٢: ٢)

إن الإبهار الإلهي يقود إلي إنبهار بشري علي الذين هم من داخل حين يسطع عليهم مجد الرب الفائق.. وعلي الذين هم من خارج أيضا فيتساءلون في تعجب وإستغراب **ما عسي أن يكون هذا؟** إنه السؤال الذي يجلب علينا إطمئنانا وثقة بأننا **نحيا.. ونعبد.. ونخدم تحت السحابة** وفي إطار التجليات الدائمة والمذهلة!! حتى عندما يدخل **عامي أو غير مؤمن فإنه يقر أن بالحقيقة الله فيهم** (١ كور ١٤: ٢٥)

وهذه قاعدة أساسية - تغيب عنا أحيانا كثيرة - فعندما نعظم الرب بكل ما في الكلمة من معنى **حياة وتعبدا وخدمة** فإنه في المقابل ستنالنا هذه العظمة أيضا؛ فعندما عظم يشوع الرب.. عظمه الرب أيضا!! لذا فإنه علي أولئك الذين يختارهم الرب ويقدمهم أن يفعلوا كل ما يقدروا عليه في مواقعهم لكي يعظموه..

فلقد كان وقوفه أمام نهر الأردن إعلان عظمة عن إله غير متغير فمع كونه **«القديم الأيام»** لكنه جديد التعاملات والإنجازات.. جدير بكل ثقة وإتكال.. فالماضي كله يشهد عن أمانته.. والمواقف تعلن عن قدرته وعظمته.. فهذا هو السبيل الأصيل الذي ينبغي أن يختطه القادة والمسئولين.. فبقدر إعلانهم عن الله أنه لا يزال كما هو عظيم وقادر فيحصلوا من جراء ذلك عظمة مُنعَمٌ بها عليهم!!

والمثير للإنتباه فعلا هو أن **كل الأشخاص الذين عُظِموا من قِبل السماء كانوا بسطاء جدا في أعين أنفسهم.. لكنهم عظماء في أعين جميع الشعب** - هكذا كان يشوع - وبالمثل موسى خاصة عند لمعان وجهه!! فلقد أدرك كافة المحيطين به.. والناظرين إليه مدي ما قد وصل إليه من رفعة ومقام ومجد!! إلا هو.. فأولئك الذين تلمع وجوههم بحق لا يعرفون؛ علي العكس تماما من فئة المدعين الذين يسبغون علي أنفسهم وأفعالهم هالات من مجد زائف.. وجلالات من عظمة غير مستحقة بالمرة..!!

الدرس الثالث: طريق الإعداد.. عظمة إمتداد.. ونمو فمن دلائل العظمة الإلهية ما يتجلى بوضوح في مجالات النمو والإمتداد سواء في الإطار العام أو الشخصي.. وأكاد أجزم أنه لا يمكن أن تتحقق في حياة أي منا مساحات من العظمة إلا إذا كان النمو هو العامل الملحوظ فيها!! ولا أعتقد إطلاقا أن الحياة الروحية الصحيحة يمكن أن تبقى علي وتيرة واحدة لفترة طويلة وإلا أضحي ذلك بمثابة تخلف صارخ!! فالنقلات والتطورات والتناميات هي ملامح جديرة بالحرص علي وجودها

وإستمرارها بإطراد مُستحب ومرغوب ومسعى إليه بكل الإرادة والكيان لأن في سبيل تحقيقه تهون كل التضحيات.. وتسهل كل الصعوبات!!

وإذا عرفنا مدي الصدمة والمعاناة التي تصيب الوالدين لسبب عدم النمو في حياة أبنائهم - والقياس مع الفارق طبعا - سنفهم الحزن الشديد من قِبل السماء تجاه هذا الأمر بخصوصنا!! مع الأخذ في الإعتبار أن الأهل قد لا يستطيعون فعل أي شيء لمساعدة ذويهم!! بينما القدرة الربانية المطلقة لا تقف أمامها أية صعوبات!!

إلا أن يشوع حاز في حياته عدة نقلات حاسمة إزدانت بها سجلاته وتلألأت منجزاته.. وتعطرت صفحات تاريخه المشرق المشرف والتي تدرجت في صمت وإتضاع.. وإنتظار وترقب.. فلم يكن من المتسلقين الوصوليين.. وإنما إتسمت حياته بالتواري ما لم يدع للظهور! وبالصمت ما دام ليس هناك حاجة للكلام.. وبالمكوث والتطلع والتأمل طالما إستوجب الموقف ذلك!!

** ففي البدايات الأولي إرتضي دون أدني إعتراض أن يكون **خادما** لسلفه القائد العظيم موسى وأن يقوم **بصب الماء علي يديه!!** إنها الدرجة الأدنى والأقل؛ **وفي مثل هذه الأعمال لا تختبر طاقات وقدرات ومواهب.. وإنما هي تحجيم وتقويم للذات التي غالبا ما ترفض** هذا المستوي من الخدمة تحت كافة المسميات المغلوطة مثل هذا لا يليق **بشخصه.. أو إنها مهمة لا تتفق مع إمكاناته.. أو أنها مضيعة لوقته الثمين.. أو هناك من يصلحون لهذه الأعمال!!** وغير ذلك كثير..

إلا أن الرجل لم تشغله مثل هذه الأفكار المدسوسة؛ بل أحس أنها فرصة جديرة بالإنتفاع بها في دوائره الداخلية شديدة الخصوصية وفي أطر المحيطين به أيضا!! فإن الذين يقبلون بكل الرضا الداخلي القيام بما يكلفون به بكل حب وبذل؛ هم سيكون أمامهم الباب مفتوحا.. والفرصة متاحة للتأهل والتكليف بما هو أكبر وأعظم وأنفع..!!

في تمام الساعة الثالثة من فجر يوم شديد البرودة كان يصعد طالب علي السلم الموصل لمسكن الراعي الذي تعين من قبل مجلس الكنيسة لإمتحانه؛ وبعد أن دخل حجرة الإستقبال إنتظر إلي الساعة الثامنة حتى حضر الراعي الذي فور قدومه شرع في إمتحانه.. سائلا إياه هل تعرف الهجاءة؟ فأجاب الشاب نعم يا سيدي **فقال حسنا تهجى خباز** فأجاب الشاب بكل هدوء خ ب ا ز **فقال الراعي جميل ثم سأله هل تعرف الحساب؟** فقال الطالب نعم يا سيدي!! **فسأله إذا كم يساوي ٢+ ٢** فأجاب الشاب ٤ **فقال الراعي جميل جدا لقد إجتزت الإمتحان يا ابني وغدا سأجتمع بمجلس الكنيسة وبعدها أعرفك النتيجة..**

ولما إجتمع مجلس الكنيسة قدّم هذا الراعي العجوز المُحنك نتيجة إمتحانه للطالب قائلا: إن هذا الشاب حاصل علي جميع المؤهلات ليكون مرسلا نافعا ناجحا للأسباب الآتية:

أولا: فحصته في نكران الذات فطلبت منه أن يحضر لمنزلي في الساعة الثالثة صباحا؛ فخرج من بيته تاركا فراشه الدافئ غير عابئ ببرد الليل ودون أن يشكو بكلمة!!

ثانيا: فحصته في **التمسك بالميعاد** فحضر في الوقت المحدد تماما!

ثالثا: فحصته في **الصبر** فتركته ينتظرني ٥ ساعات كاملة حتى أجئ إليه فإنتظرني صابرا مع أن ميعادي كان الساعة الثالثة!!

رابعا: فحصت **طباعه** فلم يظهر شيئا من التململ طيلة وقت إنتظاره إياي ولا سألني عن سبب تأخيري!!

خامسا: فحصت **وداعته** فسألته أسئلة يجيب عليها طفل في الخامسة من عمره؛ فلم يظهر ما يدل علي الحنق أو عدم الرضا!!

وعليه أعتقد أن هذا الشاب توفرت فيه جميع صفات الخادم والمرسل الحقيقي..

* نعم فالذين يؤدون صغائر الأعمال بروح عالية هم وحدهم كفيلون بإنجاز كبائر المهمات؛ وهذا ما حدث فعليا مع يشوع - خادم موسى - الذي يصب الماء علي يديه!! لكنه في هذه المرة يستبدل قارورة الماء بسيف فلقد إستدعاه وكلفه بأن ينتخب رجالا ليحارب عماليق والذي يعني إسمه مُحِب الحرب - الذي أتي مهاجما شعب الرب!!

وبكل جراءة الأبطال وجسارة المقاتلين تصدي للمنازلة متحملا كل ما فيها من تبعات ونتائج سواء أكانت نصرا أم هزيمة دون أن ترتخي يداه أو تهبط معنوياته؛ وقد تكشف لنا من خلال هذا الموقف عدة ملاحظات جديرة بالإنتباه إليها وتدبرها:

* عماليق - الطبيعة العتيقة - هي الساعية دائما لمحاربتنا؛ فالجسد هو الذي يشتهي ضد الروح أولا (غل ٥: ١٧) والذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح هكذا الآن أيضا (غل٤: ٢٩)

* ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا قط أن الحرب مع عماليق هي من دور إلي دور (خر ١٧: ١٦)

* وأن من لا يقتل عماليق سيقتله هو؛ وهذا ما حدث فعليا مع الملك شاول بن قيس الذي عفا عن أجاج ملك العماليق!! فقتله رجل عماليقي..!!

* ومن الجدير ملاحظته في هذا الشأن أن قرار العفو ورد في العدد <u>الثامن</u> من الإصحاح ١٥ بسفر صموئيل الأول؛ كما أن تنفيذ القتل ذكر في العدد <u>الثامن</u> من الإصحاح الأول بسفر صموئيل الثاني!!

علي أي الأحوال لقد أدي يشوع ما عليه في هذه التكليفات المحددة التي وجهت إليه مثبتا أن التنوع الإستخدامي هو خير دليل علي تنامي الشخصية الإيمانية وفقا لكل مرحلة؛ فلكل مرحلة نمو لها رونقها وشكلها ورائحتها وعبقها..!!

كل هذا يتم وعقارب الساعة السماوية تتحرك للأمام لكي تفاجئ القائد الجديد أولا؛ ولا شك أسرته وأقاربه وسائر الشعب أيضا بأنه <u>الخليفة المنتظر</u> للسلف العبقري الذي لولا تصرفه الأرعن.. وكلماته المتسرعة!! لكان هو الأجدر الأحق بإستكمال المسيرة حتى النهاية وكم حاول أن ينال هذا الشرف دون جدوى!!

ومن المؤكد أن يشوع تعلم الدرس جيدا لذا نلاحظ أن شفتاه لم يصدر منها أية عبارات تؤخذ عليه وتحرمه من الإستدامة في مواصلة تفاصيل الخطة الموضوعة بغاية الدقة لهذه المرحلة الدقيقة بل والخطيرة من خلال تسلمه <u>عصا القيادة</u> والعبور بالشعب ومعه نهر الأردن كاشفا أمام

الجميع أن كل التدريبات والتأهيلات والصياغات الإلهية لحياته عبر سنواتها الماضية قد أتت ثمارها المرجوة والتي من حق السماء أن تجتنيها في مثل هذه اللحظات الحاسمة والمبهجة.. «فالله يري من تعب نفسه ويشبع» (أش ٥٣: ١١)

ولنلاحظ أنه أحيانا تكون مجالات التنقل متسارعة متلاحقة. وتارة تصبح متباطئة متأنية؛ وهذا لا نستطيع نحن مهما أوتينا من إستعداد وشغف أن نحدده أو نؤثر فيه؛ وإنما هذه وتلك تخضع تماما لتوجهات وتوجيهات اليد العليا المحركة لكافة الأحداث والأشخاص حسبما يتراءى للحكمة اللانهائية.. والمخططات العلوية المحكمة!!

وهذا شيء جدير بالتتبع؛ ففور عبور الشعب بكافة طوائفه وأفراده برز أن أعمالا متلاحقة تستدعي القيام بها دون أدني إبطاء؛ فعلي المشارف ومرأى النظر تعالت أسوار أريحا الشاهقة وأبوابها المغلقة متحدية القيادة الجديدة والشعب العابر!! وهذه المرة ليس معهم موسى المتشفع..

نعم قد يغيب موسى عن المشهد؛ لكن يشوع لن يبقي وحيدا فبينما هو غارق في أفكاره وهواجسه وربما مخاوفه أيضا.. متضارب في قراراته!! فماذا يفعل أمام ما هو غير مسبوق بالنسبة له تماما! فحربه مع عماليق دارت علي أرض مكشوفة وعدو واضح!! أما الآن فكل شيء غامض مستور وغير معلن!!

لكن الأمر لم يدم طويلا فعندما رفع عينيه وجد ملء المشهد رجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده.. فسار إليه يشوع وقال له هل لنا

أنت أو لأعدائنا؟ فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب.. الآن أتيت.. فسقط يشوع علي وجهه إلي الأرض وسجد وقال له بماذا يكلم سيدي عبده؟؟ (يش٥: ١٣- ١٤)

فكما إستعلن الرب لموسى في العليقة المشتعلة وهي لا تحترق ليتولى بعدها مهمة إخراج الشعب من أرض مصر؛ إستدعي الأمر أيضا أن يتراءى الرب ليشوع إيذانا ببدء خطة جديدة هدفها إدخال الشعب إلي الأرض الموعودة وإمتلاكها؛ فلقد آن الأوان لتحقيق هذا الحلم الذي طال أمده ٤٠ سنة كاملة **فوعود الله لا تشيخ.. ولا تسقط بالتقادم..** وعلي الرغم من تواجدهم في سني السماح وليس المشيئة التي فيها **يضيع الوقت لكن لا يُفقد الوعد!!**

ومن فم رئيس جند الرب - القائد الأعلى.. والمخطط الأوحد والمتابع الواعي من غرفة العمليات - تلقي يشوع تفصيلات خطة المعركة القادمة والتي لا شك عندما كان يسمعها إتسعت عيناه تعجبا.. وفغرت شفتاه دهشة فهي لا تخطر إطلاقا علي فكر أي قائد مهما بلغت حنكته وخبرته وقدرته؛ بل هي تعتبر في عرف العسكريين قمة في الجهل والغشومية!! فكيف يعقل أن يدور الكهنة حاملي الأبواق حول الأسوار العالية دون أن يتعرضوا لخطر الإصابة أو القتل بسهولة بسهام ورماح الجنود القابعين في قلاعهم والمتمشين علي أسوارهم؟؟ يا تري كم سُخِر منهم.. وطالتهم الألسنة المتهكمة؟؟!!

وهذا ما لا يجب أن يفوتنا إستيعابه ففي كل مرة يُمتحن فيها إيماننا علينا أن نتوقع إساءة فهمنا بالإساءة إلينا..!! فماذا يا تري قال الجيران

عن الأرملة التي إستعارت الأوعية بكثرة دون أن تقلِل!! ربما ظنوا أنه نتيجة ما تتعرض له من ضغوط أصيبت بشيء ما في عقلها أفقدها توازن تفكيرها وقراراتها!!

لكن علي الرغم من كل ما قيل وسمعناه بآذاننا.. أو رأيناه بعيوننا متجسما في ملامح من حولنا..!! لكن الأسوار سقطت.. والأبواب حطمت.. والأواني إمتلأت.. والديون سُدِدَت.. وتعظم الرب من خلال عظمة الإيمان بشخصه تبارك اسمه..!!

* حينما وطأت بطون أقدام الشعب أريحا وغيرها من البلدان بنجاح باهر يُحسب لهذا القائد الجديد التابع للقيادة السماوية الفريدة - **ومع أنه بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك** (يش ١٣: ١) فلقد آن الأوان أن يمارس دورا آخر منوط به أن يقوم من خلاله في نقلة إضافية **بتقسيم الأرض** المحررة للشعب العابر.. **فالعابرون يمتلكون وفقا للوعد كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته** (تث ١١: ٢٤ و يش ١: ٣ و ١٤: ٩)

وفي هذا الإطار تجلت نزاهة يشوع علي نحو رائع فمع أن من حقه أن يكون له نصيبا في هذه التقسيمات؛ إلا أنه بقي حتى تمت كافة التوزيعات علي سائر الأسباط من خلال حلول واردة في سفره المبارك الذي يذكر فيه «**ولما إنتهوا من قسمة الأرض حسب تخومها أعطي بنو إسرائيل يشوع بن نون نصيبا في وسطهم حسب قول الرب أعطوه المدينة التي طلب تمنة سارح في جبل أفرايم فبني المدينة وسكن فيها** (يش ١٩: ٤٩ - ٥٠) وفي إستدراكة عابرة يحلو لنا أن نذكر معنى اسم هذه المدينة:

** **تمنة** تعني القسم المعين أو النصيب فالرجل لم يسع ليكون له أكثر من نصيبه المعين له من الرب.. ولم يتهاون أيضا في الحصول عليه حتى لو أبقي طلبه إياه إلي النهاية..

** وهي **تمنة سارح** وتعني النصيب الباقي ويالها من تسمية فما يهبه لنا الرب.. لا يسمح لأحد غيرنا أن يأخذه.. وهو الباقي والدائم حتى النهاية فلقد دفن فيها يشوع (قض ٢: ٩ و يش ٢٤: ٣٠)

** وسميت أيضا **تمنة حارس** ومعناها الجميل هو نصيب الشمس أو نصيب من الشمس؛ فمطلبه هو النقاوة والدفء والإنارة؛ وهذه كلها إنعكست ليس فقط علي حياته الشخصية؛ بل امتدت في تأثر وتأثير علي **أسرتــــه** مؤديا بذلك الدور المهمل في تاريخ العديد من الخدام الذين أخذتهم الخدمة من أسرهم؛ فبينما كانوا ناجحين فالحين في أداء المطلوب منهم علي نطاق المحيطين بهم؛ إلا أن ذويهم حرموا من ذلك تماما!!

** يتضح من التعبير «**أعطوه المدينة**» أنه لم يستغل مكانته كالقائد والمُقسِم بأن يضع يده عليها دون أن يرجع لأي من كان؛ بل إنه أظهر نزاهة وتواضعا وإحتراما للجميع.

لقد إستطاع يشوع في نهاية أيامه معلنا كيف أن نجاحه لم يكن فقط في دوائره الخارجية حربيا وإداريا؛ وإنما شمل وبصورة فعالة مؤثرة خصوصياته وداخلياته الأسرية.. وهاهو وعلي رؤوس الأشهاد يردد عبارته المأثورة المشهورة «**أما أنا وبيتي فنعبد الرب**» (يش ٢٤: ١٥) وهذا هو شأن الذين ينالون دائما نصيبهم الشمسي المتوهج ويحرصون علي دوامه..!!

** إلا أن الكتاب يذكر شيئا لا يقل عن ذلك أهمية وهو ما يتعلق بمدي تأثيره الفعال ليس فقط خلال حياته العُمرِية ووجوده وإنما إمتد أثرا حتى بعد وفاته ودفنه «**فلقد عبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع.. وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع.. والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل**» (يش ٢٤: ٣١)

لقد كان يشوع **عظيما** في مسئولياته الجسام..

عظيما وسط بيته..

عظيما بين أفراد شعب الرب في حياته..

وامتـــدت **عظمته** حتى بعد موته ودفنه..!!

ولقد إستمـد كل هذا مـن وعد الرب له ابتدئ أعظمك.. **ولم تنتهـي عظمتـه.. فإنـه حتـى وإن كـان قد مـات لكنـه يتكلـم بعـد** (عب ١١: ٤)

الفصل الخامس

أساسيات ضرورية

يقول «صموئيل شولتز» في كتابه (العهد القديم يتكلم): «يسير نهر الأردن متعرجا، فيبلغ طول مجراه ٢٠٠ ميل بانحدار ٦٠٠ قدم وتطل منحدرات صخرية جيرية علي شاطئ النهر عند «أدام «وحدث منذ وقت قريب في عام ١٩٢٧ أن سقط جرف إرتفاعه ١٥٠ قدما في الأردن فسَد المياه إحدى وعشرين ساعة ونصف، ولم يذكر الكتاب المقدس هل سمح الله بحدوث شيء مثل هذا أم لا عند عبور إسرائيل النهر! ولكن مادام الله قد إستخدم في مناسبات أخرى وسائل طبيعية لتنفيذ إرادته (خر ١٤: ٢١) فإن هناك إحتمالا بأن زلزالا قد حدث مما أدي إلي إنسداد مجري المياه حينئذ.!!

غير أنه من المسلمات أن يخلص قولنا:

** أن الرب يستطيع أن يشق النهر بدون «الزلزلة «التي كان لابد وأن تُحدِث هلعا في قلوب جميع الشعب الواقفين علي ضفاف الأردن بمياهه الفائضة والممتدة لجميع شطوطه، وهي مياه عالية وعميقة نتيجة لذوبان الثلوج من علي جبال لبنان!

** وأن الرب يستطيع أن يشق الأردن بدون الكهنة.. ولكن الكهنة لا يقدرون شقه بدون الرب!! إلا أنه علي الرغم من هذه الحقيقة الصارخة وتنازلا عجيبا من جانب السماء خططت أن يشارك الكهنة في هذه المعجزة الفذة، كاشفة لنا من خلال هذه المشاركة عدة قواعد أساسية ينبغي أن تراعي من جانبنا البشري حتى يتفجر الإعجاز الإلهي إنجازا متفردا ومثيرا..!!

أولا: <u>في العبور.. وقوف.. ورسوخ.. واستقرار</u>: (يش ٣: ٨ و١٢ و ٤: ٣) والملاحظ أن للأقدام مكانة خاصة في سفر يشوع، ففي الإصحاح الأول والعدد الثالث يقول الرب «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم «وهو بمثابة وعد مؤكد من قبل السماء (تث ١١: ٢٤) والملفت للنظر أنه لم يقل تدوسه أقدامكم وإنما بطون أقدامكم، ولهذا بطبيعة الحال مغزى نحتاج أن نميط اللثام عنه، ونكتشف المخبوء بين طياته فندرك أبعاده، ونسبر غوره ونتفهم مدلولاته فتنعكس علي حياتنا العبورية الإمتلاكية في شتي صورها الروحية، والتي تتطلب أول كل شيء التواضع والتنازل عن الكل! وهذا هو مفهوم ومحور ومضمون «بطون الأقدام»!!

وإذا تتبعنا أولئك الذين شمل حياتهم هذه القاعدة الغريبة، لإتضحت أمام عيوننا الملامح المتكاملة لمنجزاتهم المذهلة في كافة الأطر التي دعوا إلي التعامل من خلالها وإجتيازها، وجميعها بلا إستثناء تمثل محاور غاية في الأهمية والخطورة، وسنعرض لها خلال السطور التالية آملين أن يلمسنا إلهنا في كل منها، فيتحقق الغرض المأمول من وراء هذه التأملات، فنتضع متنازلين عما هو لدينا، فننال ونحصل علي ما هو أعظم! لأننا حينما نتنازل عن حقوقنا، فإننا نتحصل علي إمتيازات أعظم من عند الرب.!

فلقد كان الدرس الأول الذي ينبغي أن يتعلمه الكهنة الواقفين في الأردن ونحن من خلالهم: **أن حياة العبور لا تعتمد علي ما نفعله نحن من أجل الرب، بل علي ما فعله هو من أجلنا!!**

ومنذ الوهلة الأولي التي تقابل فيها الرب مع موسى أمام العُليقة المشتعلة وهي لا تحترق، هناك صدر الأمر العلوي له «**إخلع نعليك**» وإذا تساءلنا: ماذا يعني هذا في عُرف تلك الأيام؟؟

أن تكون حافي القدمين، يعني في ذلك الوقت «أنك عبد» ولكون موسى تربي في قصر فرعون حيث كثير من العبيد، فالعبد ليس له حقوق، ولا يرتدي حذاء، وفي هذه الحضرة المشتعلة طلب الله من موسى أن يتنازل عن حقوقه ليكون خادما للرب، وأن يقبل تفويض السماء له وأن يذهب ليطلق شعبه محققا العبور الإعجازي الإنقاذي من سطوة فرعون المتجبر، محررا الشعب من العبودية وصغر النفس.!!

ولا شك أن موسى قد وعي تماما ما قصده الرب، بمعني أن ليس له حق أن يفعل ما يشاء، في الوقت الذي يشاء!! بل وحتى ليس له الحق في أن يرفض تلك الدعوة السماوية مهما بدت إعتراضاته المشوبة بمخاوفه القديمة؛ وتحججاته المرتبطة بمركبات النقص؛ فلم يكن في مقدوره أو في استطاعته!! ولا أي شخص آخر أن يرفض بتعللاته مثل هذه التشريفات العلوية المذهلة!!

فما كان عليه سوي أن يقبل مذعنا خاضعا متجاوبا واقفا في شجاعة وجرأة فالطاعة لله يمكنها أن تهزم الهزيمة القابعة في الداخل - معلنة بكل جسارة أن من يستخدمهم الرب لا يهابون المواجهة، ولا يخشون الموت ولا يعبأون بما قد يحدث لهم في سبيل تحقيق ما كلفتهم السماء بإنجازه معتمدين علي الدعم العلوي المتواصل والمتأصل والمتفاعل بين جنباتهم!

ومن واقع الحال فإن الله يفتش اليوم عن البعض ليقفوا فوق أرض الموت، ليعبر الآخرون إلي الحياة، وهذا ما أدركه الرسول بولس معبرا عنه بالقول: «**إذا الموت يعمل فينا، لكن الحياة فيكم**» (٢كو٤: ١٢)

وفي مرحلة لاحقة وقف موسى أيضا، لكن هذه المرة لم يكن وقوفه أمام فرعون، وإنمـا في الثغرة قدام الرب ليصرف غضبه عن إتلافهم (مز١٠٦: ٢٣) متغاضيا عن تلك الحكمة التي تقول: **«شعب لا يُقدِر قادته، هو شعب لا يحترم إلهه»**!! وعلي الرغم من العرض السماوي المذهل **«فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعبا عظيما»**(خر ٣٢: ١٠) فما كان من موسى إلا وفي نُبل لا نظير له **«تضرع أمام الرب إلهه»** (٣٢: ١٤)

لم يتضرع موافقا منتهزا الفرصة المواتية ليتخلص من هذا الشعب الصُلب الرقبة «الذين أمرّوا روحـه حتى فـرط بشفتيـه» (١٠٦: ٣٢) فماذا يكون يا تري رد فعلنا لو أن السماء عرضت علينا إستعدادها علي إبادة كل من يضايقونا وينكدوا علينا!!؟

لم يتضرع قائلا: مادامت هذه مشيئتك فلتكن إرادتك يا رب!

لم يتضرع مظهرا رداءة هذا الشعب، مشتكيا عليه أو مُدينا لتصرفاته الخرقاء، مثل تلك الصلوات الإدانية التي نرفعها مُعَددين أخطاء من أساءوا إلينا! ثم في النهاية نطلب السماح والغفران لهم بعد أن نكون قد شهّرنا بهم!!

لم يتضرع حتى مدافعا عن الشعب مبررا لتصرفاته، ملتمسا له الأعذار الواهية!! وما أكثر ما نتخذ مثل هذه المواقف خاصة مع أولئك الذين نحرص علي عدم إيذاء مشاعرهم، غير مدركين أننا بذلك ندمرهم وأولاد عالي الكاهن خير دليل علي ذلك!!

وإنما كل ما كان يعنيه في هذا الصدد هو الرب السيد، يهوه العظيم،

النازل للتو من حضرته التي إستدامت أربعين نهارا وأربعين ليلة في متعة لا نظير لها!! **وإن كان الصعود علي الجبل للشركة مع الرب صعبا يتطلب مجهودات جمة، فإن الأصعب بما لا يقاس هو النزول الذي يمثل حرمانا فجائيا من هذا التواجد الممتع الخلاب!!**

فلا يمكن لأي مؤمن أو قائد مهما بلغت قامته الروحية أن يقف في الثغرة - مُرَمِما لها - مُتشفِعا في الآخرين، ما لم يكن مُتمتعا بل ومُحَصَنا أولا بجلال الحضرة البهية.. وحلاوة وعمق الشركة العلوية.

ومن الجدير الملذ في هذا الإطار أن نستعرض حيثيات موسى التي إرتكز عليها، كاشفا عن تلك النوعيات المتميزة من القادة الذين يأتمنهم الرب علي عمله، ويستخدمهم لمجده:

(١) يتساءل في جسارة لماذا يحمي غضبك علي شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة (خر٣٢: ١١) إنه الشعب شعبك الذي إخترته من بين سائر الشعوب، وأخرجته بذراع ممدودة إنه إسرائيل «**إبنك البكر**» (خر٤: ٢٢) أنت رضيت به.. وهذا تنازل إلهي جدير بكل تقدير!! لكنك يا سيدي الرب تعرف جبلتنا، تعرف أننا تراب نحن (مز ١٠٣: ١٤) نعم يا سيد الأرض كلها، لقد وقفت ودعمت هذا الشعب وهو في أرض العبودية، صانعا عجائب! فهل تتخل عنه الآن بعدما حررته متحديا لأجله كل آلهة المصريين؟!

(٢) وقد ملأته غيرة صحيحة وصحية، فراح يقول: «لماذا يتكلم المصريين قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض» (خر٣٢: ١٢) أي أن مبلغ حرص موسى الشديد كان يتعلق بإسم

الرب وعظمته، ليس فقط من خلال علاقته بشعبه، وإنما أيضا أمام سائر الأمم وخاصة مصر؛ لئلا تتقول عليه بخبث ومكر متهكمة في شماتة بأنه أخرجهم ليفنيهم في البرية، فلو كانوا قد بقوا لكان أفضل لهم جلوسا حول قدور اللحم!! فلكونه لم يستطع إعالتهم وتدبير احتياجاتهم وهاهم أيضا بلا قبور تتناثر جثثهم وأشلائهم علي سطح الفلاة الصحراوية المترامية الأطراف في البرية!!

(٣) وفي نزاهة وتفرد وتجرد قال للرب «والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت «(خر٣٢: ٣٢) إنه يمثل بذلك أولئك الذين يرفعون شعارا رائعا في حياتهم «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع في جسدنا «(٢كور٤: ١٠) ومن أقوال واتشمان ني في هذا الشأن: «**إنه يوجد البعض ممن يقبلون أن يقفوا فوق أرض الموت، إذا أردنا للبعض الآخر أن يعبر إلي ملء الحياة! وبينما نحن نموت تدب الحياة في نفوس الآخرين، فليس شيء أقل من الموت يمكن ان يحضر الآخرين إلي شاطئ الحياة»!!**

ويسطر الوحي هذه الجملة التقريرية: «فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب علي اليابسة في وسط الأردن راسخين، وجميع إسرائيل عابرون علي اليابسة، حتى انتهي جميع الشعب من عبور الأردن» (يش ٣: ١٧)

لقد خلع موسى نعليه لكي يتحمل مسئولية العبور بالشعب من البحر الأحمر..

وبيطون أقدام الكهنة المستقرة في الأردن، عبر الشعب كله إلي الجانب الآخر من النهر..

أما الآن فلقد جاء وقت تحقيق وعد الرب الإمتلاكي المبارك، لكل موضع تدوسه بطون أقدام الواثقين، والمصدقين، والمطيعين لأوامر القيادة العليا.

ففي مشهد من المشاهد الكتابية الرائعة التي تؤكد أنه لا يمكن أن يكون مطلوبا منا في أي مرحلة من مراحل حياتنا الدخول في معارك ومواجهات دون أن يتواجد الرب بنفسه في جانبنا، حتى وإن لم تكن الحرب قد بدأت بعد!!

فالآن، وقد تم إنجاز العبور علي نحو مذهل، لا شك أن فكر القائد يشوع إنحسر تماما في الخطوة التالية وما هي؟ لاسيما وأن دعوته ومسئولياته لا تتوقف عند هذا الحد! وإنما هو منوط أيضا بتقسيم الأرض علي كافة الأسباط، والتي من متطلباتها تحرير الأرض أولا، لكن كيف يتم هذا الأمر؟

بالتأكيد معارك ستدور، لكن كيف؟ ومتي؟ وأين؟ وبمن؟ كل واحدة منها تمثل بؤرة عميقة من التساؤلات والإهتمامات والترتيبات والصعوبة الحقيقية تكمن عند أولئك الذين يسعون دائما إلي أن يكون الآتي أروع مما سبق، إمعانا في أن تكون الحياة حافلة بما يليق بل ويفوق كل مرحلة علي حدة! وهذا يضمن التفوق والتألق بإستمرار!!

ولسنا نجانب الصواب إذا قلنا أن السماء فعلا تبحث عن مثل هذه النوعية من **القادة الذين يصنعون التاريخ، فالتاريخ ليس أحداثا مجردة وإنما التاريخ هو أشخاص يصيغون الأحداث التي ترتبط بهم، ويميزهم بتفرد عن غيرهم!!**

ولما كان من الضرورة بمكان ألا نبقي طويلا نتغنى ونتمعن فيما قد تم تحقيقه - لئلا نفقد وقتا طويلا، أو تفتر حماستنا - فما لبث أن تم العبور حتى توجه يشوع بكل كيانه نحو أريحا؛ والتي تمثل الخطة الجريئة التالية، معطيا لنا بتواجده هذا قاعدة أساسية تدعونا إلي التواجد في مواقعنا ومهامنا التي نحن مقدمون عليها، لأنه حتما سيأتينا الإلهام أو الإعلان الذي يمهد لنا الطريق، ويشرح لنا السبل والخطوات التي علينا إتخاذها لإنجاز المطلوب.

وهذا ما قد تم فعليا، «وحدث لما كان يشوع عند أريحا، أنه رفع عينيه، وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده، فسار إليه يشوع وقال له: هل لنا أنت أم لأعدائنا؟ «(يش ٥: ١٣)

- الذين **يترقبون** متلمسين معالم المرحلة المقبلة، يرفعون عيونهم متطلعين.

- الذين **يستعدون** لمعاركهم يتوجهون في جسارة نحو ما يصادفهم دون خوف أو وجل!

- الذين **يقبلون** آداء دورهم يحددون في وضوح من هم لهم؟ ومن هم لأعدائهم؟

- الذين **يظهرون** إستعدادهم الدائم واعون تماما لما يدور معهم من حوارات حاسمة!

- الذين **يسجدون** بإتضاع أمام رئيس جند الرب، يتساءلون عن كلام الرب إليهم.

● الذين **يطيعون** أوامر القيادة العليا، يخلعون نعالهم من أرجلهم

● الذين **يحاربون** من أجل الرب إقرارهم الأكيد هو أنهم لا يستندون علي مخططاتهم، وخبراتهم، وأسلحتهم، وإنما علي إتيان رئيس جند الرب ليدير المعارك بنفسه!

إلا أن النصرة لم تتوقف علي خطة مثل التي وضعت، هذه أو حتى غيرها، ولم تنتظر حتى سقوط الأسوار الضخمة، وتحطيم الأبواب العملاقة! وإنما قد تحققت تماما فور قبول هذا القائد الهمام أن يخلع نعليه من رجليه، مطيعا مصدقا للوعد «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم «فلحافي القدمين وعد من الرب بامتلاك الأمم، ليحكم ويملك مع الرب يسوع رب الأرباب وملك الملوك!!

ثانيا: في العبور.. انتخاب رجال: (يش٣: ١٢ و ٤: ١و٢)

ومن الملاحظ أنه عند كل مرحلة عبورية في حياة شعب الله إرتباطها الوثيق بعمليات إنتخاب رجال، وكأنهم يفرزون خصيصا لأجل إتمام هذا القصد بعينه، سواء كان هذا الإنتخاب بناء علي قرار بشري يحظى مدعوما بموافقة إلهية، أم أنه محض تعيين سماوي صرف!

ولقد تمت أربعة حالات انتخابية إختيارية لفئات ونوعيات وشخصيات من رجالات الأمة العبرانية لأجل تحقيق أهداف تتوافق تماما مع مجريات الخطة الإلهية الموضوعة لبلوغ الذري المنشودة:

وفي واقع الحال إن **الرجولة الحقة** تتحدد معالمها ليس فقط وفق أفعالها، وإنما أيضا بحسب ردود أفعالها!! وهذه بالذات تظهر مدي

عمق وأصالة وشهادة من تفرزهم كافة الشدائد، وتصهرهم وتلمعهم المحن! وهذه قاعدة مبدئية تؤكد أن **الرجولة الحقة** هي مطلب سماوي عبر كل العصور وشتي الحِقب «طلبت من بينهم رجلا» علاوة علي أنها أمر علوي «كونوا رجالا» (حز ٢٢: ٣٠ و ١كور ١٦: ١٣)

** **الرجولة الحقة:** لا تصنعها الإختيارات والتزكيات البشرية وإنما يحدد معالمها مدي تقديرها الشخصي لهذه التكليفات المحددة والمهدفة!

** **الرجولة الحقة:** يظهرها التحكم في كافة المشاعر التي تؤثر علي القرارات المصيرية، تلك التي تمتد تبعاتها وتفاعلاتها شاملة الجميع.

** **الرجولة الحقة:** لا يؤثر فيها المنظور مهما بدا مروعا، لأن التحدي شعارها، والتصدي بحسم وشجاعة منهاجها.

** **الرجولة الحقة:** هي تطلع شخصي من كافة الذين ينشدون ويحرصون علي الوصول إلي نضوج ملحوظ «لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل» (١كور ١٣: ١١)

** **الرجولة الحقة:** إقدام وإسهام، وتأدية ما يوكل إليها من مهام شعارها: أرسلني حيث يحجم الآخرون، لسبب صعوبة ومشقة الدوام.

** **الرجولة الحقة:** إرتقاء للذري، وإعتلاء للشاهقات في عشق وإستماتة للوصول إلي قمة الرضا الإلهي المنصبة في شهادة الساكن في العليقة، الدالة علي مدي الشبع العلوي بعمل يديه!

وفي هذا المضمار يتدرج الإختيار للرجال من مرحلة لأخري كاشفا عن مدي إنطباق كل هذه الخصال في أولئك الذين وقع عليها الإنتخاب والتي في بعضها سنركز علي أشخاص لنستشف العبر، بينما البعض

الآخر سنكتفي بإلقاء الضوء علي الجماعة ككل، وعلينا أن نبدأ:

(١) **الانتخاب الأول**: وكان الهدف من ورائه تجسس الأرض الموعودة والذي إختير بناء عليه رجل من كل سبط (عدد ١٣: ١و٢ وتث١: ٢٢)

فبعد أن تم عبور الخارجين من مصر للبحر الأحمر وإجتيازهم المرحلة اللاحقة بنجاح، بدأ التفكير في تلك الوعود المذهلة بالإمتلاك والتي شكلت جزءً محوريا مركزيا في فكر القائد موسى، وكذا بقية الشعب، ولما كان هذا الأمر نال وحاز رضا السماء فأصدرت أوامرها التي بناء عليها بدأ التنفيذ الفوري!!

وفي زخم ونشوة العبور، وروعة المواعيد السماوية، مضي هؤلاء الرجال لأداء ما هو مطلوب منهم، ومنوط بهم، وكان من المتوقع أن تسفر هذه الفترة عن تحرك مبني علي تحرق وشوق للحصول علي تملكات مؤيدة بوعود علوية سبق إختبار حلاوة وروعة إتمام البعض منها كعربون مذهل لكل ما هو آت ومتلاحق.!!

غير أنه وكما يقولون: «لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن! فلقد توالت المفاجآت، بل المفجعات غير المتوقعة من الأكثرية! فلقد إنقسمت المجموعة إلي فئتين: الأولي مكونة من عشرة رجال وعبرت عن الجسدانية بأبشع صورها والتي تمثلت في رفض قبول وتصديق وعود الله التي لا تعتمد علي المنظور! ولا تتحدد بالمرئيات!

بينما راح الطرف الثاني - إثنين فقط - ينطق بعبارات تشع إيمانا وتفيض إستعاضة عن كل سلبيات وتهويمات وتخويفات!! بإيجابيات يلفها ويغلفها توقعات وتيقنات وفقا لمبدأ كتابي قويم «أن الإيمان هو

الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا تري» (عب ١١: ١) ومن فيض هذا النبع الداخلي المتدفق إنسابت منطوقاتهم لتعبر عن واقع مُعَاش يفيض بالحيوية لا عن شعارات جوفاء.!

فعوضا عن إشاعة المذمات كما فعلت الفئة الأولي محرضة الشعب كله علي الرفض والتمرد، راحت القلة الأمينة ويمثلها - كالب ويشوع - ينطقان دون رهبة أو وجل، في بطولة مغوارية وهما معا في خندق واحد رافعين رايات الولاء لصاحب الوعود؛ والتصديق للقادرعلي التحقيق!

ويجدر بنا في هذا المقام أن نلقي الضوء علي «كالب» هذا الرجل الذي يصفه الكتاب بأن «كانت معه روح أخري» (عدد ١٤: ٢٤) إنها روح مضادة لكافة التذمرات التعطيلية المعيقة للمخططات السامية! التي جاء وقت تحقيقها، وعلينا في هذا الصدد أن نلتفت إلي أمور هامة نلخصها في الآتي:

أ - هناك أرواح مختلفة عديدة تملي مواقف متباينة وتعمل كلها في نفس الوقت، والروح عبارة عن شخصية، لكنه يؤثر أيضا علي إتجاهات سلوكنا..!

ب- الله لا يهمه أبدا حجم العمل ولا حتى نتائجه، وإنما يعنيه تماما الروح الذي يؤدي به العمل..!

ج- هل سبق أن لاحظت أن إبليس غالبا ما يستخدم الجماهير والتجمعات، بينما الله وحده هو الذي يستخدم الأفراد، لأن إنسانا واحدا بيد الله يساوي أكثرية..!

وهكذا في وسط هذه الغوغائية الإرهابية الجسدانية يبرز الرجل

- كالب - مدعوما ومؤيدا بروح أخري، ترافقه وتوفقه في شتي توجهاته وعبر كل سني حياته، التي هي بمثابة برهان عملي فعال عبر كل الأجيال، ومن المنطقي أن ينطبق عليه المثل الفرنسي القائل: «**أن الرجل هو الأسلوب**»

الأسلوب الذي يسبقه فكر منظم، وإيمان مدعم.

الأسلوب الذي يصاحبه قلب جسور، وشجاعة بلا تهور أو فتور.

الأسلوب الذي يغلفه شهادة ثلاثية قلما تمتع بها من هم دونه والمتمثلة في: شهادة **السماء** (عدد١٤: ٢٤) **والآخرين** (يش١٤: ٩) **والنفس** أيضا (يش ١٤: ٨).

الأسلوب الذي يفجر النبل العميق، والمعبر عن نضوج لصيق والذي يتضح من عدم تحقير أولئك الذين لم يتمكنوا ليس فقط من المشاركة الإيجابية، بل سعوا إلي التشكيكات السلبية، فاسمعه يقول عنهم في ترفع نادر: «**أما اخوتي الذين صعدوا معي**» (يش ١٤: ٨) لم يتنكر لأخوته! ولم يحتقر عدم مشاركتهم! لأن الرجولة الحقة لا تقلل من شأن الغير مهما كانت سلوكياتهم! بل وحتى إنحرافاتهم!!

الأسلوب الذي يعبر بالسنين، بعد أن عبرها متمسكا بمواعيد الرب التي سبقت ونطقت بها شفتاه القدوستان وفمه الطاهر، فعندما بلغ من العمر ٨٥ سنة قال: «فلم أزل **اليوم** متشددا كما **يوم** أرسلني موسى، كما كانت قوتي حينئذ، هكذا قوتي الآن للحرب وللخروج والدخول فالآن اعطني هذا الجبل الذي تكلم عنه الرب في ذلك **اليوم**» (يش ١٤: ١١و١٢)

الأسلوب الذي يعي مبدأ حيويا يمثل الأساس الراسخ لكل توجهات حياتنا الروحية وفحواه: «**أن الله لا يعطيك ما وعدك به** - وهو بعض ما عنده - **إلا إذا أعطيته كُلك بأكملك**»

الأسلوب الذي يُقدِر مدي التنازل الإلهي بإنتخاب الغرباء مثل كالب وهو قنزي من القبائل الكنعانية، ليكون ضمن صفوف شعب الله المختار «فنحن البعيدين الأجنبيين صرنا رعية مع القديسين وأهـل بيت الله» (أف ٢: ١٢ و ١٩)

(٢) الانتخاب الثاني: ويتعلق بإختيار رجال لمحاربة عماليق (خر١٧: ٨-١٦)، إن أولئك الرجال الذين يكللون إختيارهم بنجاحات متفردة إنما يفسحون أمام أنفسهم مجالات أوسع لإختيارات مستقبلية تشهد علي تفوقهم وجدارتهم وأهليتهم لما هو أخطر دورا وأعمق أثرا! فها هو القائد موسى يكلف يشوع عندما أتي عماليق ليحارب إسرائيل (خر١٧: ٨) بأن: إنتخب رجالا وإخرج حارب عماليق؛ فالذين يُنتخبون ويتعاملون مع المنتخبين نظيرهم، لديهم تكون القدرة أيضا علي إنتخاب الرجال الذين يصلحون لما يكلفون به، واضعين المعايير التي هي بمثابة المؤهلات لتحديد الكفاءات!

وقد تمخضت هذه المعارك عن قواعد نحتاج أن نلقي الضوء عليها لكونها مضامير، وحلبات قتالية روحية كثيرا ما يتعرض لها الرجال المنتخبون في شتي المراحل العبورية التي يجتازونها!

(أ) علي الفور، «فعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق» (خر١٧: ١٠) فلا تهرب.. ولا تأجيل.. ولا إلقاء التبعية علي الغير! فقبل

أن يختار هو موجود، وبعد أن يختار يتقدم الجميع! ومن كل مواقف هذا القائد يتضح لنا:

* **أن ما لا تقبل أن تموت من أجله، أنت لا ينبغي أن تعيش من أجله!** وهذا ما نراه في أجلي صورة، فالروعة التي نتحصل عليها في عالمنا المحدود، يستقبلها كيان ترابي كثيف، يُقيد ويُحَجم إنطلاقات الروح مهما سمت وتعالت!! فما بالك لو إنفلت هذا السجين من أكباله وقيوده إلي الآفاق الرحبة غير المُحَيَزة عندئذ تتحول تلك الساعات التي يتمناها المرنم مطويا إياها مختليا مع الحبيب منطلقا إلي ما وراء الزمن حيث الإشراق الدائم بلا غروب، والنهار الكامل بلا ليل، واللقاء المتواصل دون إفتراق، وهذا كله لا ينال إلا من خلال منح شهوة الصديق بالإنطلاق ليكون مع المسيح - الحبيب - لأن ذاك أفضل جدا. (فيلبي ٢: ٢٣)

* إن رجال المعارك المُنتخبون لسان حالهم: «مستعد لا أن أربط فقط بل أن أموت أيضا» (أع ٢١: ١٣) مثل هذه النوعية من الرجال ينطبق عليهم القول: «**من الصعب أن تواجه رجلا يريد الحفاظ علي حياته، ولكن من المستحيل أن تواجه رجلا يريد الاستغناء عنها!!** فسواء عند مواجهة هؤلاء الزملاء الرفقاء - الجواسيس العشرة - أو في معاركه القيادية ضد العماليق المتجبرين، فإنه ظل ممسكا بسيفه متمسكا بموقعه حتى دانت له الحرب في النهاية نصرا مؤزرا دُوِن علي صفحات الخلد والظفر! ومن هذا نستنتج:

(ب) إنه لكي ننجو من الحرب علينا أن نكون محاربين، لأنه لا يوجد شخص بلا مهمة في هذه المعارك.!

* كل ما علينا أن نطرح سؤالا مفروضا فحواه: هل نؤثر نحن في هذه الحرب؟ أم أن الحرب هي التي تؤثر فينا؟

* لقد قال ماو: «ليست نوعية الأسلحة هي التي تحدد نتيجة الحرب بل الرجال الذين يحملونها!

(ج) بعد أن إنتهت هذه المواجهة العماليقية الشرسة التي تراوحت بين هزيمة ونصرة إستقرت أخيرا في جانب هذا المقاتل العنيد، إذ بالرب يقول لموسى: «**إكتب هذا تذكارا في الكتاب** - لكونها غلبة غالبة - ويكلفه بأن يضع هذا التذكار في **أذن يشوع**» (خر١٧: ١٤) لماذا يا تري؟؟

* لأنه كان يري تحولات دفة القتال بين هزيمة وانتصار! فربما نخسر موقعة، لكن في النهاية سوف نكسب الحرب.

* لأنه كان المزمع أن يخلف موسى، وهذه تلميحات وإعدادات من قبل الرب لتهيئته!

* لأنه كان مخططا له أن يقود معارك شتى في المستقبل لتحرير الأرض الموعودة، وتقسيمها للشعب!

* لكي يتعلم أن النصرة دائما هي من الرب، وهذا ما قصده موسى عندما بنى مذبحا ودعا اسمه «**يهوه نسيّ**» الذي يعني الرب رايتي فهو لم ينسب هذا الإنجاز الرائع لرفعة يديه أو لمدعميه، أو ليشوع وسيفه أو حتى للرجال المنتخبين!!

* لكي لا ينسي أن الحرب مع عماليق - المُعتدِي - مع أنها إنتهت بلا هزيمة، إلا أنها ليست النهاية! أو أنها حربه الشخصية إنما هي حرب الرب، وهي ممتدة إلي دور فدور.

د) إن الرجال المنتخبون المختارون يمثلون هذه النوعية:

* **ينطقون** بلغة إيمانية تنساب بين شفاههم مؤكدة صدق مواعيد الرب.

* **يصلحون** لكل المهام التي توكل إليهم، مهما بلغت صعوباتها وتحدياتها

* **يؤهلون** لما هو أعظم وأضخم مرحلة بعد أخري.

* **يفسحون** المجال لإنتخاب غيرهم من الرجال، فالكرم متسع والفعلة قليلون.

* **يسعون** لتشريف ذاك الذي إنتخبهم وإختارهم.

* **يحمون** ما قد حصلوا عليه، ولا يفرطون في إنجازاتهم.

(هـ) في مثل هذه الأوقات الحاسمة تتمخض الأمم والمجتمعات عن إنجاب رجال من نوعيات نادرة مثل يشوع، الذي إنتخب يوما مندوبا عن سبطه، والعبرة هنا ليست الإنتخاب، وإنما إستمرار الأهلية والثقة والأحقية، بمعني بقاء **«دعوتكم واختياركم ثابتين - عندها - لن تزلوا أبدا»** (٢ بط ١: ١٠)

يقال إنه في زمن الحرب البريطانية في غرب أفريقيا جمع قائد فرقة الحرس الإسكوتش فرقة من المتطوعين وشرح لهم حالة الحرب في الأشانتي غرب أفريقيا وقال: إننا نريد أن نرسل فرقة من المتطوعين لكل من يرغب منكم أن يتطوع لخدمة البلاد وتوسيع المملكة ما عليه إلا أن يخرج من بين الصفوف ويعتزل بعيدا، ثم أدار وجهه عنهم ليترك لهم المجال للتطوع دون أن يؤثر عليهم!!

وبعد بضع دقائق إلتفت إليهم، فوجد الفرقة واقفة كلها في مكانها كما كانت بنظامها العسكري، فحزن وقال: «أليس من متطوع واحد في هذه الفرقة؟

فقال له أحد الضباط: «نعم يا سيدي فكلنا متطوعون! لأن الفرقة كلها تقدمت خطوات بنظامها العسكري! راغبة في التطوع معا والسير إلي الأمام فهيا أرسلنا كلنا.!!

(و) يبدو أن هذه كلها أساسيات خلابة تتحدي الجميع! وصعبة لا يقدر عليها أحد من خلال هذا الوصف الذي أطلق من الرب شخصيا علي يشوع القائد المكلف بقيادة معارك ضارية علي غرار ما حدث بأنه: "رجل فيه روح" (عدد ٢٧: ١٨) روح قتالية.. روح إيمانية تعاونية روح شجاعة تشجيعية.. روح ثورية لا استسلامية.!!

(٣) **الانتخاب الثالث:** والخاص بإختيار رجال لتصريف أمور الأمة (خر١٨: ٢١ وعدد الإصحاح ١١)

فبعد أن تحققت النصرة علي عماليق بكل ما تحمله من دروس وقيم وعبر، سمع يثرون حمي موسى بكل ما صنع الله إلي إسرائيل شعبه فأخبار الرب العظيمة تتناقل وتتواتر وتنتشر تأكيدا لعظمته، وتأصيلا لقدرته وهيبته. ولقد قص موسى أيضا المزيد عند مقابلته إياه، ففرح يثرون بجميع الخير الذي حظي به الشعب، وقال عندئذ: «**الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة، لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم**» (خر ١٨: ١- ١٢)

ونتيجة للجهد الخارق الذي كان موسى يبذله في القضاء للشعب والذي

يستغرق اليوم كله من الصباح إلي المساء، وبناء علي نصيحة يثرون (خر ١٨: ١٩) وتأكيد الرب للأمر ووفقا لرغبة موسى (عدد ١١: ١٤) إختار موسى ٧٠ رجلا من شيوخ إسرائيل مراعيا أن تتوافر فيهم شروطا هامة وحاسمة عبارة عن أسس وصفات وخلال تكون رادعة للمتلاعبين والمجاملين الذين يحشرون أشخاصا لا تتوافق مواهبهم - إن وجدت - وسلوكياتهم وطباعهم مع العمل وسط جماعة الرب المقدسة كما أنها مقنعة لأولئك الذين يقدرون الرب وخدمة شعبه، والتي لا يمكن أن تتم إلا من خلال رجال:

أ - ذوي قدرة: أي لهم من الكفاءة والمقدرة المتمثلة في المواهب والملكات التي منحوا إياها سماويا وتأهيليا، ليتمكنوا بواسطتها من تحمل الأعباء والتكليفات التي يناطون بها وأدائها علي النحو المتناسب مع موقع كل واحد منهم كبر أو صغر، فلا يحتقر الكبير من هو دونه متعاليا عليه ولا يحسد ذو القدرات الأقل من يفوقه، فكلما زادت المنح لابد أن يتعاظم الجهد! علاوة علي ذلك فإن الجزء مهما كان شأنه فهو محتوى في الكل!

ب - خائفين الله: وهذا شرط حيوي في حقيقة الأمر ويعني أنهم يوقرون الرب ويهابونه، واضعين إياه نصب أعينهم، فلا تطيش أحكامهم وقرارتهم تحت وطأة المجاملات والمحاباة!! أو إنتهازهم للفرص لتخليص حسابات قديمة بقيت معلقة تحينا لفرصة مواتية!!

ج - أمـــناء: في الحفاظ علي ما أؤتمنوا عليه من أسرار فلا يشهروا بالآخرين مستغلين ما ترامي لأسماعهم.. أو شاهدته عيونهم في متابعتهم لشئون المكلفين بمتابعة قضاياهم، ومشاكلهم!! فتلك الأمانة هي التي تزكيهم وتبقيهم مستخدمين من خلال ثقة المتعاملين معهم.

د - **مبغضين الرشوة:** لأن الرشوة تعوج القضاء، كما أن الربح القبيح يفقد التوازن والمعايير، أما التسَيُّد علي الأنصبة فيدفع بالمسئول إلي شَرَك الطمع الذي هو عبادة الأوثان (كو ٣: ٥)

غير أن الرب أضاف علي كل ما سبق من مقترحات يثرون الرباعية السابقة مبدأ هو من الروعة بمكان، إذ بدونه لا يمكن أن تتم هذه العناصر الأربعة علي نحو صحيح، ألا وهو الحالة الروحية التي ينبغي أن يكون عليها هؤلاء المختارون، لذلك ففي وقت لاحق طلب الله أن يأتي جميع الشيوخ السبعين عند خيمة الاجتماع، لكي يأخذ من الروح الذي عليه ويضع عليهم محققا بذلك.

- **توحيدا** روحيا بين الجميع، فيعمل الكل بروح الفريق الواحد.
- **تجسيدا** لضرورة الإستماع إلي صوت الرب، متلقين أوامره التي تحدد معالم كل مرحلة.
- **توطيدا** بأن لكل منهم طاقة روحية، فمع أن الملء متاح للجميع، إلا أن هناك نجد أليداد وميداد اللذان إستمرا يتنبآن في المحلة.
- **تأكيدا** علي أن رجال الروح يُقاوَمُون في كل مجال وموقع وهذا يحدث بسبب الفروق المذهلة بين أعمال الجسد وثمر الروح.

ثالثا: في العبور.. حمل ونقل أحجار: (يش ٤: ٤ و ٤: ٩)

وهذا هو **الإنتخاب الرابع**، ومن المثير أن إرتباط إختيار الرجال الإثني عشر في المرة الأولي أيام موسى، والمرة الأخيرة في أيام يشوع «بالحَمل» غير أن نوعية ما يحملونه قد إختلفت تماما، ففي الأولي «حملوا عنقود العنب

بالدقرانة بين إثنين مع شيء من الرمان والتين» (عدد ١٣: ٢٣ و٢٤) وهذا كان يعني بكل وضوح صدق كلام الرب لشعبه بخصوص الأرض الموعودة لهم، وعلي الرغم من حَملِهم خيرها علي أكتافهم، إلا أن شكوكهم ومخاوفهم كانت أثقل وأضخم!! فلا حتى المنظور الإيجابي إستطاع أن يقنعهم.! بالمقابلة مع أولئك الذين في قدرتهم تصديق الرب، فلا يعوزهم دلائل منظورة مكتفين بأن فم الرب قد نطق وتكلم.!!

أما هذه المرة فكان علي الرجال المنتخبين الإثنى عشر أن يحملوا من وسط الأردن من عند أرجل الكهنة الراسخة ١٢ حجرا وعبرها معكم وضعوها في المبيت الذي تبيتون فيه الليلة (يش ٤: ٣)

ونصب يشوع ١٢ حجرا في وسط الأردن تحت موقف أرجل الكهنة حاملي تابوت العهد، وهي هناك إلي هذا اليوم (يش ٤: ٩)

ولما كان رقم ١٢ هو المعبر عن إدارة الله وتنظيمه في الخليقة المادية، وهو رقم السيادة الإلهية، نجدنا هنا في هذا المقام أمام تنظيمات روحية تمس حياة كل العابرين.

ولأن أعمال الله عظيمة فإن النص العبري الوارد لوصف هذه الحجارة التي أخذت ووضعت سواء من البرية أو النهر بأنها حجارة عظيمة.

أما مدلولات هذه الحجارة فهي متعددة نذكرها علي النحو التالي:

(١) ١٢ حجارة من البرية إشارة إلي:

أ- الأهواء والخطايا المحبوبة: ولعلنا لا ننسى اللفيف الذي «إشتهي شهوة» (مز ١٠٦: ١٤) عندما تذكروا السمك الذين كانوا يأكلونه مجانا،

والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم قائلين: «من يطعمنا لحما»!! (عدد ١١: ٤و٣٣)

ب - **العبادات الوثنية:** علي غرار ما جري في تعبدهم للعجل الذهبي، والمقولات التي دوَّت حينئذ: «هذه آلهتك التي أخرجتك من أرض مصر، وغدا عيد للرب»!! (خر ٣٢: ٤- ٦)

ج - **المعطلات والضعفات:** والمتمثلة في محاولات إنتقاد تصرفات الغير، والتي لا نستحسنها! وتأتي علي القمة في هذا الإطار؛ مريم وهرون عندما تكلما ضد أخيهما موسى وزوجته الكوشية. (عدد ١٢: ١)

د - **المقلقات والتذمرات:** والتي يري المفسرون أنها بلغت ١٢ تذمرا! علي الرغم من روعة الانجازات والإعتراضات التي بلغت عنان السماء.

هذه كلها وغيرها، كان لابد وأن تدفن مستقرة في أعماق النهر تحقيقا للقول الكتابي: «**وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم**» (مي ٧: ١٩) فلا يمكن أن تكتمل ملامح العبور الفائق إلي ما هو أعمق دون التخلص من كل ما شاب المرحلة السابقة من عيوب ونقصات وخطايا وزلات وإمتعاضات!!

فإن هذه الحجارة تخبرنا أيضا عن قصة موت المسيح، وموتنا معه فنحن أموات عن الخطية، وقد صلبنا عن العالم، لذلك يجب أن نحسب أنفسنا أمواتا عن الخطية. (رو ٦: ١١)

(٢) ١٢ حجارة عظيمة وضعت في الجلجال:

«فإذا سألك إبنك ما بالكم وهذه الحجارة؟ (يش ٤: ٢٠-٢٢)

تخبرونهم بأنها تلك التي أخذناها من قاع الأردن عندما انفلق النهر «وهذه الحجارة ترمز لحقيقة أننا قد صرنا أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا، وأننا الآن خليقة جديدة، فكما دفنا معه بالمعمودية، هكذا نسلك في جدة الحياة أو في الحياة الجديدة. (رو ٦: ٤)

تلك الحياة التي تفيض طهرا ونقاوة، وينبعث منها ما يليق بالدعوة السماوية العليا، التي شملت هؤلاء العابرين، محققة علي حساب النعمة الغنية نوال المواعيد العظمي والثمينة، تلك التي تشير إليها الأرض التي تفيض لبنا وعسلا!

(٣) ١٢ حجارة عظيمة من وسط الأردن:

وهي ترمز أيضا للتلاميذ الإثني عشر الذين أعلنوا شهادتهم عن قيامة الرب يسوع من الأموات؛ مرددين الشعار الرائع «**نحن جميعا شهود لذلك**» (أع ٢: ٣٢) وهكذا، فإن كل عبور روحي حقيقي ينتج عنه شهادة مؤثرة فاعلة، يكون من نتاجها تفاعل مثمر يشمل حياة المحيطين، يتوج بتأكيدات نجاح الخطة الموضوعة.

ومن الجدير أن نلفت النظر إلي أن الكلمة الرئيسية لسفر الأعمال هي «**شهادة**» والتي وردت تقريبا في كل إصحاح، والمذهل أنها وردت في الأصل اليوناني؛ ليس فقط لتعني الإدلاء بعبارات وكلمات وإنما أيضا الإستشهاد في سبيل مايقال ويعلن!! فالشهادة الحقيقة قد تكلف الحياة بجملتها!! فالشهادة الحقيقية لا تؤدي فقط عن طريق الفم وإنما قد تتطلب إهراق الدم..!!

(٤) ١٢ حجارة عظيمة من وإلي:

يتجسد فيها الحياة الخفية والظاهرة، المعلنة والمخبوءة، فعلي القدر الذي نكون فيه أمناء فيما لا تلحظه أو تراه عيون الآخرين، سيكون ذلك واضحا بجلاء أمام ناظريهم؛ فمبادئ الباب المغلق عند الصلاة (مت٦: ٦) والصوم غير العابس (مت ٦: ١٦) والصدقة غير المعلنة حتى لشمالنا (مت ٦: ٣و ٤) لا زالت فعالياتها وتقديراتها المتمثلة في المجازاة العلنية من قِبل السماء!

وهذا تجلي بوضوح في حياة أولئك الذين كان لإستخدامهم الأثر البالغ في روحانيات أممهم وشعوبهم. و هاهو إيليا بعدما اجتاز مرحلة - كريت التي تعني وهده - في خلوة إنفرادية بشعاره الفعال «**حي هو الرب الذي وقفت أمامه**» (١مل١٧: ١) إستطاع أن يقود كل الشعب الذي كان يمر بمرحلة من أحلك الفترات الدينية بزعامة «إيزابل» وأنبياؤها وكهنتها، لكن الغلبة في النهاية إنطلقت علي شفاه الجميع وهم يرددون أنشودة النهضة الروحية العارمة: «**الرب هو الله.. الرب هو الله**» (١مل ١٨: ٣٩)

نعم، إن ما نعلنه أمام الجميع من خلال تصرفاتنا، وأقوالنا وخدماتنا وإنطباعاتنا، إنما هو انعكاس صريح لما نحن عليه في الخفاء فما صورة أحد منا إلا إيضاح للنيجاتيف بلا أدني زيادة أو نقصان!!

(٥) ١٢ حجارة عظيمة من وإلي:

يشير بغاية الوضوح والصراحة إلي أنه بالقدر الذي نتفرغ فيه هو ذاته الذي نمتلئ به! وأن تلك الأجران الستة التي تمت من خلالها معجزة

تحويل الماء إلي خمر في عرس قانا الجليل؛ لخير دليل علي هذا المبدأ الحيوي:

** فـ**بالقدر** الذي نتفرغ فيه من أفكارنا، سيملأنا فكر المسيح.

** و**بالقدر** الذي نتفرغ فيه من مخططاتنا، ستأتينا معلنة إرادة الله ومشيئته لكل جزئيات حياتنا؛ فلقد وصل إلي «إيجرتون يانج» طلب من جمعية إرسالية ليترك كنيسته الناجحة، ووطنه المريح، ومستقبله الباهر ويذهب ليعمل في مركز إرسالية في زاوية من زوايا الأرض الحقيرة فأشار عليه أصحابه بعدم الذهاب!!

أما زوجته فقالت له: يا إيجرتون هذا الأمر من الله، ويجب أن تطيع الدعوة الإلهية، فأطاع والرب باركه، وجعله بركة لهنود أمريكا الشمالية.

** و**بالقدر** الذي نتفرغ فيه من ذواتنا، حتما سيسود ملك الرب علينا محررا ومغيرا.

** و**بالقدر** الذي نتفرغ فيه من طبائعنا السلبية، ستظهر بكل إيجابية صفات الرب فينا.

** و**بالقدر** الذي نتخلص فيه من كل أقنعتنا التنكرية، فلابد وأن يعقب ذلك سطوع المجد العلوي علي وجوهنا.

** و**بالقدر** الذي لا نعتمد فيه علي قدراتنا، ستنطلق علي الفور قوة الله المعجزية؛ فتحول عجزنا إلي إعجاز!! وضعفنا إلي إنجاز!!

** **وبالقدر** الذي نكف به عن محاولات تقليد الغير، ستتضح للجميع روعة ما خصتنا به الإبداعات الإلهية من سمات متفردة دلالة علي قدرته الفائقة في الصياغة والتشكيل..

** **وبالقدر** الذي تتقلص ونتخلص فيه من مخاوفنا، ونمتلئ بروح الجرأة والتحدي والجسارة! عندئذ سيكون لنا مثل طِلبة «موريسون» مرسل الصين العظيم في بكور شبابه: «إرسلنى إلي حيث يقل العاملون وإلي حيث تعظم الصعوبات، فإستجاب الرب لطلبه وأرسله إلي إمبراطورية الصين العظيمة، وبينما كان في السفينة في طريقه إلي هناك قال له صاحب السفينة متهكما ساخرا:

إذا تريد يا سيد «موريسون» أن تقتحم وثنية إمبراطورية الصين العظمي؟؟

فأجابه: لا، ولكن أرجو أن يفعل المسيح هذا.

وقد كتب «روبرت موريسون» وهو يقترب إلي شواطئ الصين يقول يا إبراهيم؛ إنني سأتمثل بك في خروجك إلي أرض لا تعرفها! واثقا بوعد الله وهدايته، فإنني الآن وفي ظروف تماثل ظروفك!! ليتني أستطيع أن أسلم أمري تماما في يد من حتم بالأوقات المعينة، وبحدود المسكن.!!

يا الله أنت إله الأرض كلها..

إله الكون غير المحدود..

وأنت إلهي، فلست وحدي..

الفصل السادس

نتائج العبور

إذا أردنا في كل مراحل حياتنا أن نحقق نتائج مبهرة؛ علينا أن نتذكر دائما هذه المقولة المعبرة: "**أن المستقبل هو اللحظة الحالية في حالة حركة للأمام.. وأننا يجب أن نكون لله اليوم، كما نحب أن يكون هو لنا غدا**» فبهذا نضمن أن تكون صفحات تاريخنا سجلا مشرقا مؤثرا.

وفيما نحن بصدده؛ كان علي يشوع أن يصنع تاريخه بنفسه، وإن كان الخروج حدث في الماضي؛ لكن النتائج ستحصد في المستقبل، إن موسى أخرجهم من مصر، أما هو فعليه أن يقودهم إلي أرض الموعد وعندما وقف الشعب علي نهر الأردن؛ لم يكن لدي يشوع وقت ليفكر في أمجاد الماضي، فقد كانت هناك أمور جديدة ستحدث، أما القرارات التي كان سيتخذها، والمثال الذي كان عليه أن يضربه؛ حتما سيحدد إلي حد كبير تلك الأمور التي كانت علي وشك الحدوث.

فالذين يحرصون علي اجتناء محصلات جهودهم هم:

▯ **من يرفضون** التراجع روحيا عن مقاييس ومناسيب إرتضتها لهم ووهبتها لكياناتهم النعمة الربانية.

▯ **لا يسلكون** أي من الطرق المتاحة للهروب من ضغوط مسئولياتهم، يحملون شعارا رفع لواءه يوما نحميا - ساقي الملك - قائلا: "**أرجل مثلي يهرب**»؟ (٦: ١١)

▯ **يتحذرون** مما حدث كنهاية مؤسفة لبعض القادة الروحيين؛ علي

الرغم من بداياتهم المُبَشِرَة، والذين كان يُنتظر منهم منجزات متكاثرة متفاعلة.

 يتوقعون علي طول الخط ومهما بدت التحديات والصعوبات أن أمورا عظيمة لابد حادثة.

 يتمسكون بمواعيد الرب حتى لو عبرت السنين، وغدت بعيدة المنال، لأن الذي وعد هو أمين.

 لا يرضون بجزئية نسبية من التحقيق؛ وإنما يبقي تطلعهم متحفزا مستنفرا لكافة طاقاتهم وطاعتهم خطوة بعد الأخرى؛ حتى بلوغ القصد الموعود.. والهدف المنشود.

 يُقدِرُون الفرص المتاحة لجميعهم؛ وفي تناغم هارموني يؤدي كل منهم الدور المنوط به؛ حتى تكتمل الصورة بروعة تأثيراتها وجاذبيتها

 يتحققون من مدي صدق تلك الأصوات التي تتحدث إليهم مدعية أنها مرسلة من قِبل الرب ناطقة بعبارات كأنها نبوة ولكنها كاذبة تماما عارية من الصحة علي الاطلاق «فتحققت وهوذا لم يرسله الله لأنه تكلم بالنبوة عليّ وطوبيا وسنبلط قد استأجراه» (نح٦: ١٢)

وفي إطار ما تحقق من إنجازات مذهلات؛ ليت هذه الصفحات تتسع لبعض منها، لا سيما تلك الملامح التي تواكب كافة المراحل العبورية؛ سابقها ولاحقها علي حد سواء؛ مما يضفي زخما متوافقا مع سائر المعطيات المبرهنة علي روعة النتاجات المتوازنة والتي قد نفاجأ بمفرداتها!! ويأتي علي رأس القائمة فيها:

أولا: الرعب: وفي حقيقة الأمر أننا سنجد أن هذه قاعدة مكتشفة تستحق منا متابعتها وتقرير معطياتها التي تبرز سواء علي صفحات الوحي المقدس - بعهديه القديم والجديد - أو حتى من خلال مجريات أحداث حياتنا العادية؛ والتي بواسطتها نستطيع أن نرسخ مفهوما محوريا ينصب علي أن: **كل ما يفعله الرب إلهنا لخيرنا؛ إنما يرعب ويخيف به غيرنا المحيطين والمتربصين بنا.!!**

ففي واحدة من أغرب التعبيرات اللغوية يصف كاتب مزمور (١٠٥: ٣٨) الحالة التي كان عليها المصريون عند خروج الشعب العبراني بعد كل هذه السنين الإستعبادية التي عاناها أجيال وراء أجيال بأن **«فرحت مصر بخروجهم.. لأن رعبهم سقط عليهم»**

ولعل الحيرة تنتابك أيضا، والتساؤل يعلو قسماتك في ذات اللحظة

فكيف يتوافق الفرح والرعب.؟!

وتلتقي البهجة مع الخوف.؟!

ويبدو أنها فرحة من تخلص أخيرا من عبء هلعي رهيب جثم علي صدره.. فتقطعت أنفاسه!!

أو أنها هناء شخص تمكن في نهاية الأمر أن ينفلت من كافة هواجسه المُجهِدة التي أخافته وقضت علي مضجعه..!!

أليس عجيبا أن أولئك الذين كانوا يتلذذون في مذلة شعب الرب ويتفننون في إختراع وسائل كفيلة بأن تجعله خانعا مطحونا!! ساعية للقضاء عليه؛ هاهم وبعد كل محاولاتهم الشيطانية الدنيئة، يبدون في المشهد وقد صاروا أذلاء.. حالتهم مزرية تدعو للرثاء!!

فكم من متجبر في التاريخ أراد التنكيل بأولاد العلي؛ وإذ به بين ليلة وضحاها يصير فريسة لمرض غريب فتاك ينهشه، أو دود يأكل لحمه وهو حي!! وهو لا يملك حلا أو حتى حراكا!! تعلو قسمات وجهه ملامح الرعب والهلع (أع ١٢: ٢٣ - دا ٨: ٢٥)

وكم من أمم بقيادة أباطرة متجبرين وقفوا بالمرصاد لينالوا من كنيسة العلي؛ التي تبدو وكأنها ضعيفة لا سند ولا عضد لها!! لكن العبرة دائما بالنهاية؛ فلقد واري الثري الجميع وهم يرددون ما قاله كاليجولا - الإمبراطور المتأله - بلسانهم جميعا: "**إن النجار الجليلي المصلوب قد بدأ يحكم الذين كانوا يحكمون أعظم إمبراطورية في العالم**» وقال غيره في أسي بالغ: «**لقد ربحت أيها الجليلي**»..!!

لقد إنطلقت الأمة يملؤها فرح التحرير.. يعلوها البشر والسرور دون أن يتمكن فرعون المتجبر بقلبه القاسي، ووجهه المتجهم، وعينيه الممتلئتين بالدموع ليس حزنا فقط؛ وإنما رعبا أيضا، من أن يعيقها أو يحجزها بعد اليوم، فما عاد لإعتراضاته الأربعة الشهيرة أية سلطان أو سيادة أو فاعلية!!

الجميع في مشهد رائع يتقاطرون ويتدافعون في حماسة وحمية بعد أن تساقطت الأغلال، وتقطعت كافة الربط والكبول؛ أيديهم ممسكة بعصيهم، متماسكة ببعضهم؛ يحملون علي أكتافهم الفطير مصرورا بينما علي جانبي الطريق يقف مسخريهم، وقد تساقطت الكرابيج والأسواط عند أقدامهم؛ فما عادت تهوي علي ظهور الرجال بلا أدني شفقة أو إنسانية مُمَزقة جلودهم!! بل وتنفذ إلي لحمهم أيضا!!

بينما الفرح المغلف بالحزن يسود علي المصريين؛ بدء من القصر وصولا إلي جميع البيوت!!

سادت البهجة المشوبة بالمخافة فشملت الكافة؛ سائرين أو راكبين حاملين أو محمولين..!!

المصريون روعهم ما حدث، والعبرانيون يحتفلون بروعة ما جري فما أبهج الحرية بعد العبودية وصغر النفس..

المصريون المرعوبون لا يحركون ساكنا، والعبرانيون المشدوهون يسابقون الزمن حراكا وتحركا..!!

وبأسلوب بليغ يصور ميخا النبي هذا المشهد في (٧: ١٧) **«كأيام خروجك من أرض مصر، أريه عجائب، ينظر الأمم ويخجلون من كل بطشهم، يضعون أيديهم علي أفواههم، وتصم آذانهم، ويلحسون التراب كالحية، كزواحف الأرض يخرجون بالرعدة من حصونهم، يأتون بالرعب إلي الرب إلهنا ويخافون منك»** (تث ٢٨: ١٠)

ومع أن العبرانيين لم يكونوا يعلمون ماذا كان ينتظرهم؟ لكنهم لم يقلقوا؛ فيضيعوا علي أنفسهم بهجة الحرية.. وروعة الخروج من أرض العبودية، وهذا ما يقع فيه الأكثرية منا؛ فما يكفينا هو أن نعيش جمال وإبداع كل لحظة؛ متأكدين أن من أنجز ما نحن فيه هو قادر أن يضيف إليه المزيد المتزايد إدهاشا وتعجبا.!!

نعم، فهذا ما حدث تماما، إذ توج هذا الخروج الإعجازي عبور يفوقه

بما لا يقاس إبداعا لكونه لم ولن يحدث مرة أخري عبر كل التاريخ السابق واللاحق علي حد سواء.

فمياه بحر سوف تراكمت، وإنتصبت المجاري كرابية، تجمدت اللجج في قلب البحر، عندما مد موسى يده علي البحر، **فأجري الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة، وإنشق الماء فدخل بنوا إسرائيل في وسط البحر علي اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم**»(خر ١٥: ١٤-١٥)

غير أن هذا الرعب لم يصب المصريين فحسب؛ وإنما إمتدت تأثيراته حتى علي سائر الشعوب في المنطقة؛ خاصة تلك التي كانت في دوائر الأرض التي تفيض لبنا وعسلا، والممنوحة سماويا ليتملكها هذا الشعب العابر المحرر.

ولعلنا نتذكر في هذا المقام تلك الكلمات المعبرة التي تفوهت بها شفتا «**راحاب**» أمام الجاسوسين الذين أرسلهما يشوع لينظرا الأرض وأريحا ليتجسساها إذ قالت لهما: **علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض وأن رعبكم قد وقع علينا، وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم، لأننا سمعنا: كيف يبس الرب مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر إذ سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبق بعد روح في إنسان، لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلي الأرض من تحت**»(يش ٢: ١و٩و١١)

ومن هنا نرسي مبدأ هاما هو: «**إن النجاح الروحي له توجهان فاعلان الأول: يحفزنا علي الخطوة التالية فنتخذها في جرأة**

وجسارة وثقة، أما الثاني: فإنه يسبقنا تأثيرا مباشرا وعميقا في أولئك الذين سيكون علينا مواجهتهم محدثا هزيمة داخلية نافذة تفقدهم روح المقاومة حتى قبل نشوب المعارك علي أرض الواقع!!

فالنصرة السابقة لها قوة وسطوة علي تدمير المعنويات، وتفتيت القدرات، في كافة المواجهات اللاحقات، ملقية بآثارها محدثة إنهيارات وتخويفات مما يضيف المزيد من التشجيعات والقدرة علي تحقيق وإضافة المزيد من الانتصارات.

ففي كل نصرة قوة لنا، وإضعاف لمن سينازلنا.

وفي نجاح كل خطوة في الخطة، إخفاق وإفشال لكل من سيعترض طريقنا..

وما عليك سوي أن تكتشف هذه الحقيقة المباركة عندما تقرأ ما أدلي به الجاسوسين بعد عودتهما أمام يشوع إذ قالا له: **«إن الرب قد دفع بيدنا الأرض كلها، وقد ذاب كل سكان الأرض بسببنا»** (يش٢: ٢٣-٢٤)

إن في كل نصرة جرأة تشمل سائر قراراتنا اللاحقة، سعيا وراء المزيد، فالنصرة تجلب نصرة، والقوة تؤكدها قوة، والنجاح يكلله نجاحات؛ وهذا منهج حري بنا اتباعه فنكون عاشقي الغلبة الدائمة والنصرة المتلاحقة؛ فكل الأبطال المغاوير الذين حققوا تاريخا متفردا كانوا علي هذه الشاكلة يسعون بثقة نحو ما عليهم مواجهته آخذين مما أنجزوه رأس جسر لتطوير إنطلاقاتهم نحو آفاقهم المستعلنه في رؤاهم والمؤيدة بخضوعهم لكافة التعليمات السماوية.

آه لو أدركنا أن من يجعلهم الرب في طريقنا لنواجههم؛ وعلي الرغم من كل مظاهر جبروتهم سواء عتادا أو تحصينا هم منهزمون منهدمون، عندئذ ستسبقنا نصرة يسطرها التاريخ بأحرف من مجد تغنيها وتنشدها شفاه المصدقين، وتتساءلها في حيرة وتشكك أفواه وأقلام الفاحصين بعقولهم ما هو يفوق تفكيراتهم، وتقديراتهم، وحساباتهم.!!

فكيف يمكن أن تسقط مكانها الأسوار الشامخة دون أن تستخدم آداة حربية واحدة؟ فقط بمجرد الدوران حولها!!

وكيف تنفتح أبواب وصفت بأنها «**مغلقة ومقفلة**» بإحكام بواسطة من تملك مفاتيحها؟؟ سوي من خلال النفخ بالأبواق!!

وكيف التعامل من جنود متحصنين في قلاعهم، متربصين متسلحين بشتى الأنواع، بينما الجميع عزل تماما؛ لا يحملون سوي هذا الصندوق الخشبي المسمي بالتابوت!!

إن طرق الرب للنصرة تبدأ **بإرعاب الخصم وإخافته** وتحطيم دفاعاته الداخلية؛ وهذا ما يجعله مهزوما قبل أن تنهدم الأسوار.. وتتحطم الأبواب.. وتسقط القلاع، وما يزيده رعبا هو تلك الجسارة التي صاحبت الدورانات اليومية التي بلغت ١٣ مرة، وصوت قرن الهتاف الممتد والذي أدرك معناه العسكريون من خلال نغماته الإنتصارية؛ مما أحدث شللا في دوائر اتخاذ القرار نجم ونتج عنه إستسلام تام فلم يجسر أحد علي تصويب سهم واحد تجاه رجال الحرب المتجردين الذين يدورون دائرة المدينة.!!

وفي هذا كله نجد تتميما مباركا للوعد الإلهي لشعبه الـوارد في (خر٣٣: ٢٧) «**أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم، وأعطيك جميع أعدائك مُدبرين**»

وفي ملاحظة جديرة بالإنتباه إليها يتكشف لنا من خلالها نوعين من الرعب؛ فعبور بحر سوف أرعب الشعوب، بينما عبور الأردن أذاب قلوب جميع ملوك الكنعانيين الذين علي البحر (يش ٥: ١)

علي ضوء ذلك دعونا لا ننسي أبدا؛ أن كل ما يعمله الرب لأجلنا هو لخيرنا، ومن خلاله يرعب به غيرنا كل من يتصدى في عداء لنا راغبا في إعاقة مسيرنا وتملكنا..!!

ثانيا: اخلع نعليك: وفي إطار هذا الأمر الإلهي الذي صدر من فم الرب لأشخاص معينين، وفي مراحل حاسمة من حياتهم، تتجلى المعاني وتنساب الدروس مفصحة عن مكنونات، كاشفة أمام أعيننا تجليات جديرة بالإلتفات إليها من جانبنا.

 ربما نتذكر أن المرة الأولي وجهت لموسى عندما قال: "**أميل لأنظر هذا المنظر العظيم**» فما كان منه عندما إستمعت أذناه صوت الرب يأمره «**إخلع نعليك**» مُلقنا إياه الدرس الأول في هذه الخاصية الخاصة واللبنة الأساسية في فن الإقتراب الصحيح من الحضرة القدوسة؛ لكونها لا تعتمد إطلاقا علي ما نحمله من تأهيلات مهما عظمت، أو حتى إستعدادات مهما بلغت، وإنما هي مسألة نعمة شاملة كل النواحي.

 فكيف يكون لأي منا حق الإقتراب وجميعنا بالإثم صورنا وبالخطية حبلت بنا أمهاتنا.؟

▯ **وكيف** يكون متاح لنا مثل هذا الشرف، وكلنا في الموازين إلي فوق..!!؟

▯ **وكيف** يمكننا التمتع بهذا الجلال النوراني المشتعل، ونحن في عالم الظلام والقتام..!!؟

▯ **وكيف** يتسنى أن ندنو لحضرة ذاك الذي ينسب إلي الملائكة حماقة والسماء ليست بطاهرة قدامه، والنجوم والكواكب غير نقية في عينيه بينما نحن البشر تصورات قلبنا هي شر كل يوم!!

▯ **وكيف** يجرؤ كائن ما منا مهما سمت تطلعاته، وعمقت أخلاقياته أن يحسب نفسه أهلا للتواجد في دوائر - أهيه - القدوسة، بينما العين الإلهية الفاحصة ترانا علي حقيقتنا، فكل شيء عريان ومكشوف لدي ذاك الذي معه أمرنا.؟

إخلع نعليك يا موسى..

▯ **فتهذبك** بكل حكمة المصريين؛ لا يمنحك شهادة أحقية للتواجد في حضرتي..

▯ **وقدرتك** في الكلام والأفعال؛ لا تعينك علي الإمتثال أمامي.

▯ **وغيرتك** علي بني أمتك التي جعلتك تقترف جرما شنيعا، لا تتشفع لك قدامي..!

▯ وحتى **تقبلك** لكل سني التأهيل في البرية بعد هروبك من القصر لا تكسبك أي نوع من الأهلية لتقترب علي أساسها من محضري.

إخلع نعليك يا موسى..

ليعلم الجميع من خلالك؛ إن الإقتراب مني يتطلب مبدئيا كما فعلت حين قلت: «**أميل لأنظر**» مأخوذا بروعة تلك العليقة المشتعلة وهي لا تحترق!! وأيضا لابد وأن يكون مصحوبا بفكر متغلغل في الكيان كله فكرا وحسا وإرادة، فإن مسألة الدنو والمكوث في الحضرة الربانية هو في حقيقته الدفينة والظاهرة يتوقف علي النعمة المتفردة التي تهب في غناها أناس هم سكان بيوت من طين مثلنا؛ ليس فقط أحقية الاقتراب والتمتع بهذا القرب المذهل، بل إنها أيضا تمنح الجرأة بالبقاء حيث تدور الأحاديث الرائعة التي تنتج دائما تغيرات جذرية ترافق الحياة في كافة مراحلها اللاحقة، فلا يمكن أن تمر مثل هذه التقابلات والإقترابات دون **أن تميت أشياء فينا ليس لها أن تبقي بعد، وتغرس منهاجا جديدا بين جنباتنا يظهر علي أساسه الراسخ مدي تأثيرنا فيمن نتعامل معهم فيما بعد..**

وفي واقع الحال أنه كلما إزداد إحساسنا بجلال الحضرة القدوسة سيكون حتما علينا دون أدني تفكير من جانبنا؛ أن نقوم فورا بتنفيذ هذا الأمر الإلهي الجليل «**إخلع نعليك**» وعلي سبيل المثال ففي وجود نهضة إفتقادية عارمة في حياتنا الشخصية، أو في الكنيسة؛ لا يحتاج أي منا أن يفهم كيف؟ أو لماذا حدث هذا؟ وإنما كل ما عليه هو أن يخلع نعليه توقيرا وتقديرا لذاك الذي علي حساب نعمته يفتقد شعبه؛ مسبغا عليهم من جلال مجده!!

أما **المرة الثانية**؛ فتلقفتها في غير إستغراب أذني القائد -العبوري

- الثاني - يشوع - وكان ذلك عندما كان واقفا قبالة أريحا متفكرا في الخطة والطريقة التي سيدير بها المعركة ليتسنى له من خلالها اقتحام هذه المدينة الحصينة - أريحا -

وهكذا أتاه - رئيس جند الرب - آمرا إياه بأن "**يخلع نعليه**» لكي يلقنه الدرس الثاني في هذا الموضوع الشيق؛ مرسخا في وضوح قاعدة أخرى فحواها: **إن كافة المعارك التي نخوضها لا تستند علي مخططاتنا وخبراتنا؛ وإنما علي هذا الإتيان المبارك الذي يوضح الخطوات المطلوب تنفيذها كما هي بحذافيرها دون أدنى تدخل منا! حتى تتحقق النصرة التي تصبح حديث الأجيال عبر كل العصور.**

ومن المسلمات غير الخاضعة للجدال أو النقاش؛ أن كل المعارك التي تولي قيادتها الرب - رئيس الجند - نتج عنها انتصارات مذهلة ومن خلال خطط سماوية فاجأت المُعادي والمعتدي؛ وأدهشت الطائعين الخاضعين لغرابتها وعدم عقلانيتها.!!

وهل ينسي يشوع؛ كيف أنهم وهم واقفون قبالة بحر سوف والمصريون بأفخر جنودهم المركبية يلاحقونهم؛ صدر إليهم الأمر أن «قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» **كيف يقفوا والعدو يلاحقهم بشراسة؟ وكيف يصمتون والموقف أدعي للصراخ؟** لكنهم صدقوا فتمتعوا بالنتائج الباهرة؛ وغلبة مظفرة..!!

وفي هذا المقام لا يفوتنا أن ندرك: **أن تنوع المعارك يتطلب خطط متباينة؛ فما كان يصلح في مواجهة المصريين؛ لا ينفع أمام**

أريحا والطريقة التي أديرت بها الحرب مع عماليق ليست محبذة لاستخدامها عند عاي.. وهكذا..

والقائد الذي أدرك هذه الحقيقة؛ والذي مشي حافي القدمين - **خالعا نعليه** - (٢صم ١٥: ٣٠) هو داود ففي إحدى مواجهاته مع الفلسطينيين سأل الرب قائلا: **أ أصعد إلي الفلسطينيين؟ أ تدفعهم ليدي؟** فقال الرب لداود: إصعد **لأني دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك!** (٢صم ٥: ١٩) وحقق الرب وعده محدثا نصرة أكيدة.

غير أنه في منازلة أخري لم يستخدم نفس الخطة الأولي؛ سواء لكونه تلقاها من الرب سابقا، أو حتى لأنها أنتجت غلبة مباركة، وإنما توجه مرة أخري ليعرف ملامح الخطة الإلهية لهذه الموقعة الجديدة وفعلا قال له الرب «**هذه المرة لا تصعد إليهم، بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا، وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس البكا حينئذ إحترص لأني إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين**» (٢ صم ٥: ٢٣)

بناء عليه، في كل معاركنا علينا أن - **نخلع نعالنا** - مسلمين - القيادة - متسلمين - الخطط المناسبة لكل مواجهاتنا؛ موفرين جهودنا التي نبذلها عبثا دون أي داع؛ لكوننا لم نطلب مشورة العلي، أو بعدم تنفيذها بعد معرفتنا إياها. فنحرم أنفسنا من انتصارات موهوبة لنا طالما بقينا تحت بيارقه الخفاقة.. وراياته المرفرفة في كافة ميادين القتال!!

خلع موسى نعليه.. فعبر الشعب بحر سوف متطلعين لتملك الأرض

خلع يشوع نعليه.. بعد أن عبر الشعب الأردن، فتحققت لهم النصرة الأولي..

فالعبور الأول هو عبور الحرية والتغني..

والعبور الثاني هو عبور النصرة والامتلاك..

فكما عبرنا تحررنا.. وانتصرنا.. وامتلكنا.. وغنينا..

في العبور الأول سبح الرجال ورقصت النساء..

في العبور الثاني انتخبوا رجال ونقلوا أحجار..

وكل هذا يتحقق عندما نخلع نعالنا من أرجلنا، عندها نتمكن من السير علي أرض العبور المقدسة..

ثالثا: الختان: والشيء العجيب في حياة قائدي العبورين (موسى ويشوع) إرتباطهما ليس فقط في أمر خلع نعالهما وإنما أيضا في موضوع الختان أيضا.

فعندما كلم الرب موسى مبرهنا بأنه مرسل منه شخصيا ليخرج شعبه من أرض مصر؛ وفعلا بدأ رحلة العودة آخذا امرأته وبنيه وأركبهم علي الحمير؛ وحدث في الطريق في المنزل أن الرب إلتقاه وطلب أن يقتله؛ فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه فقالت: **إنك عريس دم من أجل الختان** (خر٤: ٢٠ - ٢٦)

ويقول ماكنتوش تعليقا علي هذا النص: **«في هذه العبارة سر خطير يختص بتاريخ موسى شخصيا وعائليا؛ ويظهر من هذه الرواية أن**

صفورة كانت خائفة إلي ذلك الوقت من مد يدها بالسكين لقطع الطبيعة التي مالت إليها بكل عواطفها، فتمنعت عن وضع علامة الختان التي كان يجب أن تميز كل أولاد شعب الرب؛ ولم تكن تعرف أن علاقتها مع موسى تقتضي توقيع حكم الموت علي الطبيعة» ولأنها لم تقم بختان إبنها وخضع موسى لها خوفا علي مشاعرها؛ لذلك مد الرب يده علي زوجها ليقتله.

فقبل أن يتم عبور الشعب من أرض العبودية كان لابد وأن تتم عملية الختان؛ وبعدما عبر الشعب نهر الأردن هاهو الرب يأمر يشوع بضرورة ختان جميع الذين ولدوا في القفر (يش ٥: ٥) وفي هذا الإطار سنركز علي ثلاثة أشياء شملتها هذه الممارسة نستشف منها دروسا قيمة.

(١) الصوان: فالرب أمر يشوع أن يصنع سكاكين من صوان ليختن بها بني إسرائيل؛ وعلي الفور نجد في هذا الأمر عدة حقائق غاية في الأهمية:

أ- إن الختان لابد أن يسري علي الجميع القادة وأولادهم وكافة الشعب حتى وليد البيت المبتاع بالفضة من كل إبـن غـريب ليس من نسـلك (تك ١٧: ١٢)

ب- إن مقاييس الله ثابتة لا تتغير، لا تتأثر بالزمن، ولا بتبدل القادة، ولا بإختلاف الأماكن؛ فكما كانت قبل العبور الأول للشعب، هكذا هي الآن أيضا بعد عبوره الثاني.

ج- مهما وصلنا إلي حالة روحية سامية؛ فإن ذلك لا يعفينا من تطبيقات البدايات ودوام اتباع الأصوليات المحددة.. والمرعيات المسردة!

د- إنه بعد كل رفعة روحية وقوة جديدة، لابد وأن نجتاز آلاما مبرحة من خلالها يقتطع من حياتنا كل ما يعطل وجودنا في دائرة العهد الإلهي؛ وفي نفس الإتجاه قال أحدهم: **إحرص علي أن تعرف الشر الذي فيك والذي يحزنه، ثم إتركه!! وإن كان يعسر تركه!! إطلب أن يقطعه! لأنه إن كان يقوم برعايتك؛ إلا أنه يمسك بسيف ذي حدين!! وبعد ذلك يكف الله عن التأديب!!** وعندئذ يتم ما قيل: «فإنفك عنه»!!

(٢) **<u>الزمـــان:</u>** إن لعملية الختان وقت معين؛ فلا تجري إلا في توقيتات محددة؛ وهذا ما يؤكده العدد الثاني من الإصحاح الخامس «في ذلك الوقت «**فبحسب الشريعة اليوم الثامن من الولادة ليتم فيه ختان المولود**؛ ولقد إتضح أخيرا أن هذا اليوم - **الثامن** - هو بالفعل أنسب وقت لهذه العملية؛ سواء من جهة تحمل الطفل؛ أو سرعة تجلط الدم وغير ذلك الكثير جدا (لا ١٢: ٣)

بالإضافة إلي ذلك؛ فإن الختان في اليوم الثامن يضع أمامنا نقاطا أخرى هامة يثيرها هذا التحديد الزمني؛ ولقد أوردها «**وتشمان ني الكاتب الشهير**» علي النحو التالي:

** لماذا كان الله لا يطلب أن يختن الطفل في اليوم الأول بدلا من اليوم الثامن؟؟ هنا نري الفرق بين «الخلق والفداء.. الجسدي والمقام فبحسب ما نفهم من الإنجيل نعرف أن الله لا يجدد الإنسان في اللحظة التي يولد فيها!! بمعني أنه لا يعطيه حياة روحية حتى لو كان مولودا من أبوين صالحين!! إذ أنه في حاجة أن يولد ثانية!! لقد أجري فيه الله قوته الخالقة؛ ولم يجر فيه قوته الفدائية المخلصة!!

** لماذا يصنع الله جسما بشريا ثم يطالبنا بنزعه؟؟ أليس خليقة الله جميلة؟؟ نعلم أن اليوم الثامن يمثل اليوم الذي قام فيه الرب يسوع المسيح؛ ومن ثم فإن ختان الطفل يشير إلي نزع خطايا ورغبات الجسد بقوة قيامة المسيح «**فبالمسيح ختنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح**» (كو ٢: ١١)

والجدير بالذكر والتنويه أن كلمة ختان ذكرت ٨ مرات

وهذه مبادئ راسخة ثابتة غير متغيرة في تعاملات الله مع البشر في كل زمان ومكان لا تنازل عنها، ولا بدائل لها تحت أية مسميات أخري مهما بدت أو انتشرت.

(٢) المكـــان: في الجلجال Circle Of Stone وعلي أرض هذا الواقع الجغرافي تتدافع عدة تساؤلات جديرة بالإعتبار، ومثيرة للتفكير والتحاور وفي مقدمتها.

أ - إن الختان لكل الرجال سيجعلهم غير قادرين علي الحرب!! وهو خطأ بكل المقاييس البشرية عامة، والعسكرية خاصة!! إذ يجعل الجيش كله عاجزا!! ولكن علينا دائما أن نطيع الوصية مهما بدت صعوبتها وغرابتها!! فالله له تدبيرات أخري لا نراها؛ ولم يكن يشوع يعلم وقتها أن الله أوقع الرعب في قلوب الأموريين لذلم فإنهم لن يحاربوا!!

إن الإهتمامات والمخططات الإلهية تهتم بكافة الزوايا الموضوعية بنفس القدر والكفاءة مغطية شتى جوانب المرحلة، وما يعنينا فقط في مثل هذه المواقف أن نتمم بكل الرضا ما هو منوط بنا عمله مدركين أن كل الأشياء تعمل في تناسق تام.. ومواكبة متوازنة مليئة بروعة الإنجاز العلوي المُتقن في كل شيء.

ب - إن هذا الختان يشير إلي الختان الروحي، فمن سيدخل كنعان سيتعرض لحروب كثيرة من الكنعانيين؛ فلابد وأن يتسلح؛ وأولي هذه الأسلحة "**ختان القلب**» (رو ٢: ٢٩ وأر ٤: ٤)

ج - لكن لماذا لم يطلب الله الختان في شرق الأردن في أمان بعيدا عن الكنعانيين؟؟ لأنه لا إمكانية لنصلب شهوات الجسد وأهوائه إلا بعد الموت والقيامة المتمثل في عملية العبور التي تمت بإعجاز مذهل !!

د - يتميز سفر يشوع "**بالجلجال**» مكان الختان؛ لأن الجلجال هو مكان الحكم العملي علي الجسد؛ لذلك فهو السفر المميز لامتلاك كنعان وهذا شأن الذين ينالون البركات السامية والمواهب الفائقة، لابد وأن يكون لهم حكم الموت في أنفسهم، يحكمون علي أنفسهم؛ ولا يحكم عليهم (٢كور١: ٩ ١كور١١: ٣١ ١كور ٢: ١٥)

والشيء الذي يعوزنا الإلتفات إليه وتذكره علي الدوام هو أن الجلجال من الناحية الجغرافية «**مكان منخفض.. مكان الإتضاع**» فحيث الإتضاع يوجد العمق!!

وحيث العمق يوجد الإحتمال لكافة ما يواجهنا من آلامات، فلقد قال أحدهم: «**إن قوة التصادم تحت الماء تخف جدا؛ فلو طرح علينا أحدهم حجرا ونحن تحت الماء؛ فإن إصطدامه بنا هو أخف بكثير من إصطدامه ونحن فوق الماء؛ فلنتعمق لنتحمل**»

لقد تحمل كل مختتن كافة الآلام التي تعرض لها بسبب العمق الروحي الذي وصلوا إليه نتيجة العبور الرائع التي تم مؤخرا قبل إمتثالهم لأوامر السماء في أمر الختان.

وكلما كنا في حالة روحية سامية كانت طاعتنا وخضوعنا وإتضاعنا في صور مبهرة بلا أدني إعتراض أو تبرم!! فليونة الحياة الروحية تسري متحدية الآلامات والمواجهات مهما بلغت ضراوتها وقساوتها.

ذ - وهذا هو الفرق الشاسع بين سفري يشوع والقضاة الذي يتميز ”**ببوكيم**» وهو مكان ظهور وإنتفاخ الجسد؛ وهناك مرارة البكاء أيضا ويكفينا أن نعرف العبارة المفتاحية لهذا السفر هي: «**كل واحد عمل ما حسن في عينيه**» (قض ١٧: ٦ و ٢١: ٢٥) ولن نفاجأ إذا علمنا أن موقع «**بوكيم**» جغرافيا هو مكان مرتفع؛ فحيث التكبر والإنتفاخ تشيع الهزائم المنكرة المتكررة، وتتشبع الأجواء بالمرائر المبكية، وتتسيد السقطات المزرية..!!

رابعا: <u>الفصح</u>: بدون فصح لا عبور؛ لأن كلمة فصح في الإنجليزية هي PASSOVER وتعنى عبور.. وفي العربية تعني انفصال Separate فالمفدي انفصل عن المصريين الموتي بعد أن عبر عنه الموت!!

وبدون ختان لا فصح؛ وإجراء الفصح بعد العبور مباشرة إعتراف ضمني وصريح أن الأساس الصحيح للحياة الروحية هو «**فصحنا المسيح قد ذبح؛ إذا لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخمير الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق**» (١كو ٥: ٧ و ٨)

ولا يغيب عن بال أحد منا أن لكل فريضة جانبان:

*** عمل إيجابي داخلي** *** عمل إعلاني خارج**

والمُلِفت المُلِذ أن شعب الرب مارس فريضة الفصح ٣ مرات في ٣ مواضع

مختلفة؛ لكل منها مدلولاتها العميقة الأثر.. والبالغة النفع لجميعنا وقد تفرعت ل٣ إتجاهات متعاملة مع أعداء ثلاث محققة نصرات متفردة:

١- **الفصح في مصر:** (خر١٢: ٣)

فالرب يقول ليشوع: «اليوم دحرجت عنكم عار مصر» (٥: ٩) ولقد صنع الشعب الفصح في مصر باعتبارهم خطاة في حاجة إلي الحماية والخلاص؛ الخلاص من عقاب ودينونة الخطية، وكان القصد من ورائها ليس فقط إفتداء هذا الشعب؛ وإنما توجيه ضربة قاصمة للشيطان المتمثل في فرعون الحاكم الأعلى للبلاد، غير أننا نجد بين طيات هذا الفصح الأول هذه الحقائق الغالية:

أ - ابتداء عمل الله في شعبه من خلال تغيير رأس شهور السنة جاعلا بهذا فروقا هائلة بين التاريخ المدني والسنة المقدسة (خر١٢: ١) فعلي أساس الفصح يبدأ التقويم الروحي.

فمع أنهم ولدوا كسائر البشر طبيعيا - مرة - وسجلت أسماؤهم وقيدت بملفات المولودين، لكنهم تميزا وتفوقا؛ هاهم يولدون روحيا من جديد علي نحو فائق للطبيعة.!!

ومع أنهم كانوا يتوقعون الموت بين اللحظة والأخرى فكم وأدت القابلات من أنفاس أطفال!! وكم زهقت أرواح تحت وطأة أسواط العنف والإضطهاد!!

لكن هاهي الأبواب كلها تفتح أمامهم؛ فلقد تحطمت مصاريع النحاس، ومغاليق الحديد قصفت!! فترسخت خطي عبور ساحق:

من سنة مدنية .. إلي سنة مقدسة..

من ميلاد طبيعي.. إلي ميلاد روحي..

من ماض سحيق مظلم.. إلي حاضر مستقبلي باهر..

حتى أن نيوتن - العالم المشهور - يُظن أن المبرر الرئيسي لإكتشافاته في الرياضة البحتة هو تطبيقاتها؛ وأن أعظم أعماله هو حسابه الصحيح لموعد «**عيد الفصح**»

ب - عرفنا صرامة دينونة الله ضد خطايانا، والتي تجسدت بغاية الأسى من خلال المناحات التي عبرت كل الإمبراطورية المصرية داخل كل بيت وكوخ فيها حتى القصر لم ينج منها؛ إنما إنطلقت التأوهات والصرخات من الجميع مؤكدة أن «**الجميع زاغوا وفسدوا**» لا فرق بين متعلم وجاهل.. عبد وحر.. يهودي وأممي!!

وأن البشرية كلها تحت القصاص والدينونة الصارمة العادلة «**لأن أجرة الخطية هي موت**» (رو ٣: ٢٣) وبنظرة محددة نحو الصليب سندرك تماما هول العذاب التي تحمله المصلوب المبارك - فصحنا - علي خشبة اللعنة!! ويكفي أن الشمس استحت متوارية أمام هذا المشهد الرهيب!!

ج - أدركنا معنى الإحتماء في الدم؛ وفي هذا الخصوص ينبغي أن نقرر عدم وجود أية أعذار لأي إنسان يستطيع أن يقدمها أمام العدل الإلهي يبرر بها رفضه الإلتجاء للإحتماء الأكيد بهذا الدم المرشوش علي القائمتين والعتبة العليا:

• هل لكونه لم يصدق الأمر بالهلاك معتبرا إياه تهديدا غير منطقي؟؟

• هل بسبب إستهانته بالوسيلة المتاحة للاحتماء؟؟

• هل إعتمد البعض منهم علي صلاحه الشخصي وطيبة قلبه وأنه لا يستحق نهاية كهذه؟؟

• هل لتشكيكات إبليس الرامية إلي تأجيل الفرصة لوقت آخر لا يأتي أبدا؟!!

وبكل الاحترام علينا أن نعلن شيئا شديد الأهمية ألا وهو: "**التقدير الإلهي**» للدم والذي تمثل في القول «**أري الدم**» فالنظرة الإلهية هي الأهم فمهما بلغ إحساسنا بعظمة هذا الدم المسفوك المرشوش علي القائمتين والعتبة العليا؛ فلن يصل إلي إدراك السماء للقيمة القيّمة له.

وفي هذا الإطار لقد وجدت - المقاصد الإلهية - الكفاية التامة في "**دم الفصح**» بعنصريها الفاعلين ونعني بهما **الكفارة والحماية**؛ فكل من قبل أن يتخضب مدخل بيته بدم الشاة البديلة حصل علي مغفرة لخطاياه كما أنه حاز علي الأمان الكامل؛ إذ يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل البيت ليضرب (خر ١٢: ٢٣)

د - شروط الأكل من الخروف المذبوح:

• **إن الفصح لا يؤكل نيئا:** وبصفة مبدئية قيل هذا التحذير لأنه يشير إلي عادات قديمة لا تزال سارية، أو ربما كانت تجري في إطار ممارسات سحرية كنعانية.!

غير أنه وفي ضوء العهد الجديد الذي سرد نماذج فريدة من معجزات أجراها الإبن المبارك؛ أقرت بندرتها وتميزها جميع الأجيال بل وسائر المعتقدات؛ حتى تلك التي تتنكر لألوهيته وربوبيته المثبتة نصوصا دامغة، والمبرهنة أفعالا رائعة.

فالجميع يقبله مسيح المعجزات، ويرضون بها مسيحية إجتماعية؛ تشبع الجائع من خلال إمداد الشعوب بالمعونات الغذائية ويقبلونها إهتماما بالمرضي عن طريق فتح المستشفيات أبوابها وعنابرها مقدمة شتى أنواع العلاجات.. مجرية كافة الجراحات.

أما الصليب فلا داعي للحديث عنه؛ لأنه يمثل لليهود المتدينين عثرة أما لليونانيين الفلاسفة فهو جهالة؛ إلا أنه قوة الله للخلاص وطريق السماء الوحيد للمصالحة والخلود..

• <u>إن الفصح لا يطبخ بالماء:</u> وهذا يعني أنه لا إضافات من أي نوع للذبيحة؛ لأن كفايتها تكمن في ذاتها وكمالها، لا حاجة أن يضاف إليها شيء بالمرة؛ وإلا أسيء إليها في الصميم!!

وهذا النص بطبيعة الحال ينهانا وبغاية الحزم عن أن نزاحم الشاة الفصحية بأية أشياء مهما بدت حسنة أو غير مضرة!! فأي شيء تحتاج إليه ذبيحة المسيح الكاملة لكي أضيفه إليها:

هل أضيف أعمالا إليها لتكون جواز عبور للأبدية؟

أم أزحمها بوساطات صفوف السمائيين من القديسين؟

أم أزينها بتشفعات وتضرعات من كانوا مثلنا في حاجة إلي من يكفر عنهم خطاياهم؟

فلو كانت الأعمال مقبولة، والوساطات مأمولة، والتشفعات مشمولة!! للتو تواجهنا مقولة الرسول بولس «**لست أبطل نعمة الله لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح مات بلا سبب**» (غل ٢: ٢١ و ٢: ١٦)

* **إن الفصح لابد أن يشوي علي أعشاب مرّة:** وفي هذا الإطار ينبغي أن نعلم أنه يوجد شيئين خطيرين جدا وهما:

صليب بدون مسيح!!

ومسيح بدون صليب!!

في **النوع الأول** نجد العبادة الطقسية بكل أنواعها؛ وهي التي حولت كل مصادر الحياة الروحية النابعة من السماء إلي شكليات لا بعث فيها ولا حياة؛ وإنما موات علي طول الخط!!

أما في **النوع الثاني**؛ فنجد الديانة العصرية التي تعتبر المسيح قدوة ومثل أعلي فقط، وقد أرسي قايين الابن البكر لآدم قواعد التدين مقدما قربانه معبرا بواسطته عن ديانة عدم الإيمان، وعدم الشعور الكامل بالخطية من جهة، وعدم التقدير الصحيح لنعمة الله .

فالتدين هو: التمسك بنتاج الأرض الملعونة.. والجهد الذي يكلله العرق..!!

أما الإيمان فهو: الرضا بكفاية الدم البديل فبدونه لا يمكن أن تحصل مغفرة (عب ٩: ٢٢) ومن أجمل العبارات التي قرأت مقولة فحواها: **أن الله خلقك بدونك.. ولا يمكنك أن تخلص بدونه.!!**

ليس هناك بديل عن الصليب والمصلوب، وأن يشوي الذبيح علي

أعشاب مرّة؛ وهذا ما تم بالفعل حرفيا - لا رمزيا - علي خشبة العار حين إستل سيف العدل الإلهي مجتازا في أحشاء البار **الذي لم يفعل خطية ولم يكن في فمه غش، بعد أن صار خطية لأجلنا؛ لكي نصير نحن بر الله فيه** (٢كو٥: ٢١ و ١بط ٢: ٢٢)

٢- **الفصح في البرية:** (عدد ٩: ١- ٥)

أما ممارسة الشعب لهذه الفريضة المباركة في البرية فله مدلولات هامة؛ خاصة إذا عرفنا أن المقصود من ورائها هو التعامل مع **سلطان الخطية** بعدما نجحت فيما يتعلق بـــ**دينونة الخطية** وهي موجهة تماما للعدو الثاني وهو **الجسد** محققة نصرة غالية تتكون عناصرها من:

* **إعتراف وإقرار** المؤمن بأنه سائح غريب في برية هذه الحياة التي لا يمكن عبورها دون الإستناد الدائم علي الحبيب، الذي يهون عليه غربته وهذا كفيل بأن يجنبه شتي التذمرات التي تفوهت بها شفاه الشعب عندما قالت: **ليتنا متنا في مصر** فنكون بمنأى تام عن مشاركة اللفيف الذي **اشتهي شهوة** (مز ١٠٦: ١٤)

* **ترك العالم خلفه؛** فليس فقط خروجه من مصر الذي تم في لحظات، وإنما خروج مصر منه والذي يستغرق بلا شك وقتا أطول؛ فليس الأمر سهلا علي الإطلاق وإنما يتطلب **حرصا دائما.. وجهادا مدميا!!**

* **رجاء ثمين أمامه؛** وهو الدافع الفعال الذي يتحرك بموجبه جميع المؤمنين في كل عصر ساعين **نحو جعالة دعوة الله العليا،** يحتويهم ويشغلهم هذا الرجاء المبارك مؤججا في دواخلهم أشواقا مستعرة نحو الوصول إلي كنعان **الأرض التي تفيض لبنا وعسلا** يلفهم يقين أمل

كامل بأن تحقيق الامتلاك مؤكد مهما واجههم من محاربات أو شكايات!! فالنهاية السعيدة المجيدة آتية لا ريب.

* **التغذي** علي عمل المحبة العظيم والعجيب؛ فليس هناك ما يشغل القلب فعلا سوي التلذذ بتذكر تلك الليلة الخالدة التي راح فيها جميع المصدقين الواثقين يتناولون من لحم الفصح المشوي علي أعشاب مرّة، معترفين بفضل هذا التدخل السماوي في إنقاذهم وتحريرهم وإطلاقهم من قبضة فرعون الحديدية، وأيضا من الهلاك المحيق بهم إن لم يحتموا في دم الذبيح المرشوش علي القائمتين والعتبة العليا.

* **الشركة** المستمرة: سواء كانت رأسية والتي تعلن عن علاقة صحيحة مع السماء التي أعلنت رضاها التام وتقبلها الكامل للذبيحة الفصحية كالأساس الوحيد التي ينتج عنه هذه الشركة التي تلقي بظلالها وتأثيرها علي الاتجاه الأفقي والذي يشمل المحيطين ويشكلون دوائر التعاملات المختلفة في شتي توجهات الحياة؛ فمتي إستقامت الشركة رأسيا، توافقت وتفاعلت العلاقة أفقيا علي نفس المنوال.

٣- الفصح في كنعان: (يش ٥: ١٠)

هاهم الآن يحفظون هذه الفريضة بعد خلاصهم ودخولهم الأرض وحصولهم علي الموعد، وهذا ما يعمق إدراكنا نحن بأننا **قد متنا مع المسيح وقمنا أيضا معه** وبذلك صار لنا عيد حول مائدة الرب؛ ويجب أن نفعل هذا علي أساس القيامة.

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض مدلولات هذه الممارسة تتفاعل بشكل مباشر مع العالم «**الكوزموس** - KOSMOS " وهو العدو الثالث الذي نواجهه.

وفي تأكيد حاسم يعلن الرسول بولس: **أن صليب المسيح حطم كل إنتظاراتنا في العالم، وكذا إنتظارات العالم فينا!!** وذلك علي ضوء النص الكتابي الشهير الوارد في رسالة غلاطية (٦: ١٤) **«أما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم»**

وفي ضوء هذا الفكر الكتابي نستطيع أن ندرك الأسباب التي إستوجبت القرار الإلهي بتحريم المدينة الأولي - **أريحا** - وكل ما فيها للرب، ولقد جاء التحذير قويا وواضحا وحاسما " **أما أنتم فاحترزوا من الحرام لئلا تحرموا وتأخذوا من الحرام، وتجعلوا محلة إسرائيل محرمة وتكدروها، وكل الفضة والذهب والنحاس والحديد تكون قدسا للرب تدخل في خزانة الرب»** (يش ٦: ١٧ - ١٩)

* فليس للعالم حقوق فينا؛ أو سلطان علينا!! فلا تغرينا أو تسحر ألبابنا.. أو تخطف أبصارنا.. وتستحوذ علي قلوبنا مقتنياته أو ممتلكاته مهما بلغت قيمتها!! فجميعها إنما هي منتجات سوق الأباطيل **«لأنه واضح أننا دخلنا العالم بدون شيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء»** (١تيم ٦: ٧) وفي أبلغ تعبير قال أيوب: **«عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلي هناك»** (١: ٢١)

وقد قال أحدهم يوما مقدما أبلغ الحكم خلاصة الخبرة الحياتية: عندما يولد الإنسان فإنه يحتاج إلي متر من القماش لإلباسه.. وحال موته يتطلب مترين من الأرض لمواراته!! عجبي أيها الإنسان أ كل هذا الصراع من أجل المتر الباقي!!

* لأننا لسنا من هذا العالم (يو١٧: ١٦) وفي وسط الشعوب لا نحسب (عدد ٢٣: ٩) وعندما يخرج أي شخص من شعب الرب عن هذه القاعدة الأساسية؛ سيلقي مصيره المحتوم مثلما حدث لعاخان وعائلته وكل ما له (يش ٧: ٢٥و ٢٦)

* لأن العالم غير مستحق؛ لأنه لا يعرف حقيقتنا أو قيمتنا **«أيها الأحباء نحن الآن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون لكننا نعلم أنه متي أظهر سنكون مثله لأننا سنراه كما هو»** (١يو ٣: ٢)

* لأن العالم وضع في الشرير:١(يو ٥: ١٩) وهنا يستوجب علينا أن نعرف ماذا يقصد الكتاب المقدس بتسمية **«العالم»**؟

ففي كتاب **«لا تحبوا العالم»** للكاتب الشهير وتشمان ني يقول: إن كلمة **«كوزموس»** لها معان كثيرة في كلمة الله؛ لكننا أول كل شيء سنلقي نظرة علي أصول الكلمة في اللغة اليونانية القديمة حيث نجد أنها في الأصل تعني شيئين:

أولا: نظام أو تنظيم متجانس.

ثانيا: زينة أو زخرفة.

وهذا المعني الأخير يظهر في الفعل الذي يرد في العهد الجديد **«كوزميو»** للتعبير عن التزيين؛ مثل تزيين الهيكل بحجارة حسنة.. أو العروس المزينة لرجلها (لو٢١: ٥ و رؤ ٢١: ٢) وفي (١بط٣:٣) تترجم كلمة **«كوزموس»** نفسها إلي زينة أو تحلي متفقة مع نفس الفعل **«كوزميو»** في عدد ٥ وعندما نتحول من دراسة اللغة إلي ما كتبه الرسل في العهد الجديد نجد

أن استعمالهم لكلمة «كوزموس» يقع في ثلاث مجموعات رئيسية:

١- ترد الكلمة بمعني العالم المادي؛ هذه الأرض (أع ١٧: ١٤ مت ١٣: ٣٥ ويو١: ١٠ ومر ١٦: ١٥)

٢- الاستعمال الثاني لكلمة "**كوزموس**» مزدوج:

أ - تستخدم للدلالة علي سكان العالم في عبارات كهذه (يو١: ١٠ ويو ٣: ١٦ و يو ١٢: ١٩)

ب - كل جنس البشر المتجنبين عن الله والرافضين للمسيح ونجد هذا المعني في (عب ١١: ٣٨ و يو ١٤: ١٧و٢٧ و ١٥: ١٨)

٣ - في المقام الثالث تستخدم كلمة «**كوزموس**» في الكتاب للدلالة علي الأمور العالمية؛ **الأشياء التي في العالم:** المال والمسرات التي رغم أنها جوفاء وزائلة لكنها تحرك غرائزنا وتفصلنا عن الله!! ومن ثم فهي تقاوم طريق المسيح؛ والأمثلة علي ذلك: الأشياء التي في العالم (١يو٢: ١٥) **معيشة العالم** (٣: ١٧) **لو ربح العالم** (مت١٦: ٢٦) **الذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه** (١كور ٧: ٣١)

وهذا الإستعمال لكلمة «**كوزموس**» لا ينطبق فقط علي الماديات بل أيضا علي الأشياء المعنوية التي لها صفة روحية وأدبية مثال ذلك **روح العالم** (١كور ٢: ١٢) **حكمة هذا العالم** (٣: ١٩) **هيئة هذا العالم** (٧: ٣١) **الشهوات العالمية** (تيط٢: ١٢) **الفساد الذي في العالم** (٢بط١: ٤) **رجاسات العالم** (٢: ٢٠) ويجب علي المؤمن أن **يحفظ نفسه بلا دنس في العالم** (يع ١: ٢٧)

والشيء الرائع الذي نكتشفه علي ضوء كلمة الرب هو الترابط الموضوعي بين سفري يشوع ورسالة أفسس؛ فالأول مجاله الإمتلاكات الممنوحة للعابرين، أما الثاني فإطاره نوال كافة البركات الموصوفة بعبارة «**في السماويات**» والتي علي قمتها أن الرب **أقامنا معه.. وأجلسنا معه في السماويات** (أف ٢: ٦)

* فلا شيء يمنحنا رفعة وترفعا فوق أمور هذا العالم سوي أن تنطبق وعلي الدوام حالتنا مع مقامنا؛ فهذا هو المجد الحقيقي الذي نحن مدعوون إليه.

* إن تحليقنا المستمر بأجنحة النسور يجعلنا نري الأرض علي حقيقتها حجما وصورة، عندئذ يتبدى العالم أمام عيوننا كما هو بلا تضخيم أو تفخيم.

* إن جلوسنا علي مائدة الرب هو بمثابة إعتراف ضمني بأن نتمسك بموقعنا بجواره؛ فهذا هو مكاننا الحقيقي في تلك الرحابات العلوية.

وهكذا من خلال هذه الممارسات الثلاث لفريضة الفصح تحقق إستكمالا رائعا لعبور إنتصاري متواكب في كافة المراحل؛ سواء الخروج من مصر، أو إنتهاء فترة البرية، أو إمتلاك أرض الموعد المباركة.

فنحن مدعوون لخروج متواصل؛ فالكنيسة هي الجماعة المدعوة من الله للخروج مثلما تعني الكلمة اليونانية التي أطلقت عليها وهي «**إكليزيا**».

ونحن متوقعون بين اللحظة والأخرى إنتهاء رحلة الغربة في هذه

البرية؛ **ونحن نئن مشتاقين أن نخلع الخيمة، مع الخليقة التي تئن أيضا لكي تعتق مـن عبوديـة الفســاد إلي حرية مجـد أولاد الله** (رو ٨: ٢١ و٢٢)

وأخيرا فإن لسان حال جميع المؤمنين وشوق قلوبهم.. وعطش أفئدتهم كما قال كاتب المزمور: «**متى أجيء وأتراءى قدام الرب**» (٤٢: ٢) وتصل ببولس قمة التطلع والتشوق والتحرق فيقول «**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدا**» (فيلبي ١: ٢٣)

هذه الثلاثية المتوازنة تمثلت في العبارات التي تنطق خلال ممارسة فريضة كسر الخبز محققة ترابطا رائعا بين عهدي كتابنا المقدس الفريد..

تذكرون موت الرب.. ليلة الفصح والخروج المذهل.

تخبرون بقيامتــه.. طوال رحلة البرية الصعبة.

إلي أن يجـــئ .. نوال قمة المواعيد العظمي والثمينة.

فنصل إلي أرض الموعد سمائنا السعيدة.

وهذا هو العبور الأبدي النهائي..

حيث فرحة اللقاء.

وروعة البقاء.

وقمة الهناء.

الفهرس

كتب المؤلف

١- للعمق وأشياء أخري ١٩٩٩

٢- الملك المصلوب والبستان ٢٠٠٠

٣- ليس مثل الله ٢٠٠١

٤- فيما لأبي ٢٠٠٨ (فتشوا الكتب)

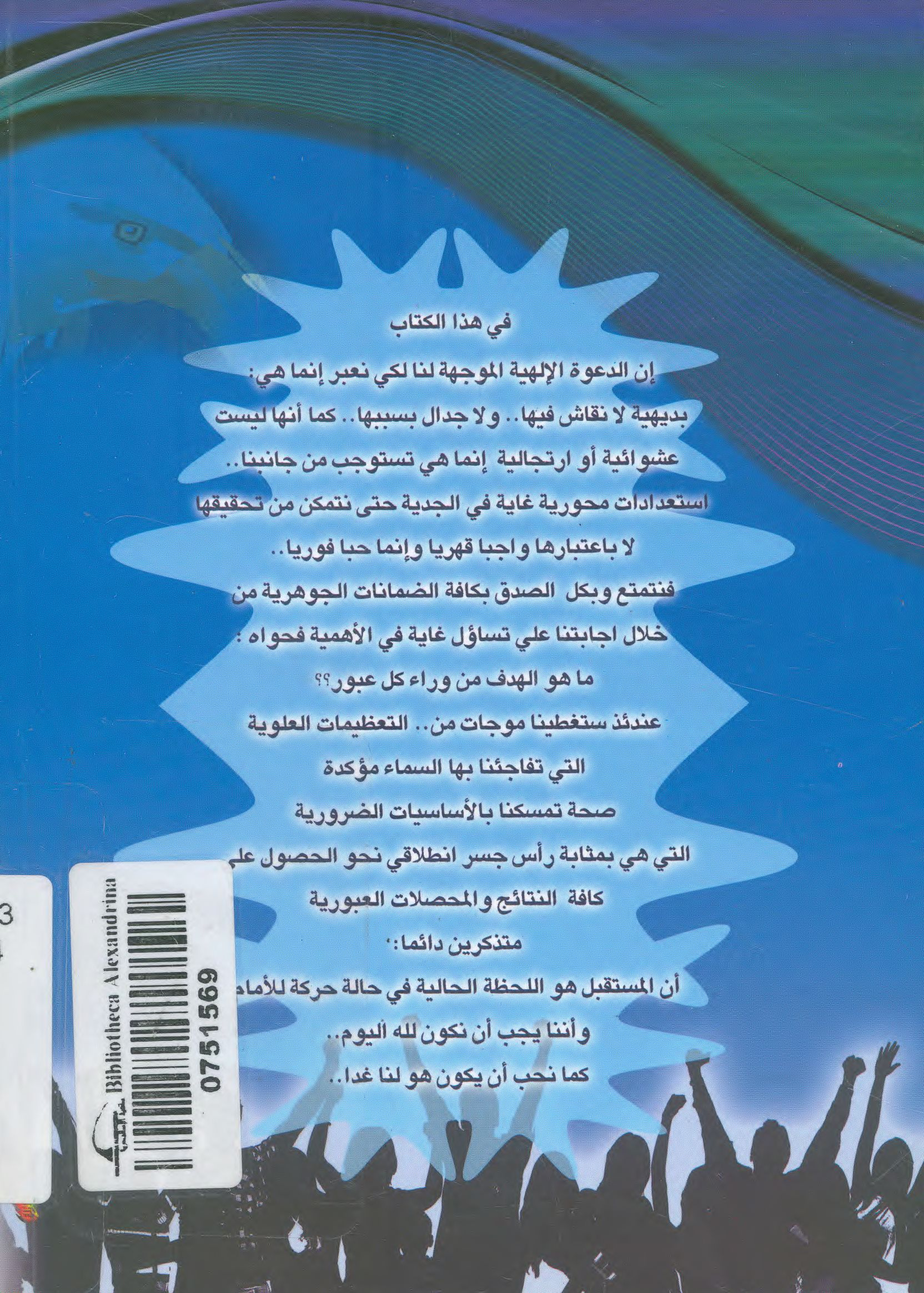
٥- العبور ٢٠٠٩

٦- الحبال في الكتاب المقدس (تحت الطبع)

٧- حياة التمكن (تحت الطبع)

٨- تشبيهات المؤمن في الكتاب المقدس (تحت الطبع)

(جزءان في كل جزء منها عشرة تشبيهات من كافة العوالم)



في هذا الكتاب

إن الدعوة الإلهية الموجهة لنا لكي نعبر إنما هي:
بديهية لا نقاش فيها.. ولا جدال بسببها.. كما أنها ليست
عشوائية أو ارتجالية إنما هي تستوجب من جانبنا..
استعدادات محورية غاية في الجدية حتى نتمكن من تحقيقها
لا باعتبارها واجبا قهريا وإنما حبا فوريا..
فنتمتع وبكل الصدق بكافة الضمانات الجوهرية من
خلال اجابتنا علي تساؤل غاية في الأهمية فحواه :
ما هو الهدف من وراء كل عبور؟؟
عندئذ ستغطينا موجات من.. التعظيمات العلوية
التي تفاجئنا بها السماء مؤكدة
صحة تمسكنا بالأساسيات الضرورية
التي هي بمثابة رأس جسر انطلاقي نحو الحصول علي
كافة النتائج والمحصلات العبورية
متذكرين دائما:
أن المستقبل هو اللحظة الحالية في حالة حركة للأمام
وأننا يجب أن نكون لله اليوم..
كما نحب أن يكون هو لنا غدا..